وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي - تبسة

جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

LARBI TEBESSI – TEBESSA UNIVERSITY
UNIVERSITE LARBI TEBESSI – TEBESSA-

الميدان: علوم إنسانية واجتماعية

الشعبة: علوم إنسانية

التخصص: تاريخ الثورة الجزائرية

دراسة تاريخية تحليلية لكتاب

حياة كفاح "الجزء الثالث"

لأحمد توفيق المدني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر " ل.م.د "

دفعـــة: 2020

إعداد الطلبة:
- ✓ عبد الناصر حاجي
- ✓ حنين مالك

إشراف الأستاذ:
مبروك موهوب

لجنـــة المناقشـــة:

الاســـــم واللقـــــب	الرتبـــــة العلميـــــة	الصفـــــــــة
نجاة بورنان	أستاذ مساعد –أ–	رئيســـــــــا
مبروك موهوب	أستاذ مساعد –أ–	مشرفـــا ومقررا
أحمد شنتي	أستاذ محاضر –ب–	عضوا ممتحنـــا

السنة الجامعية: 2020/2019

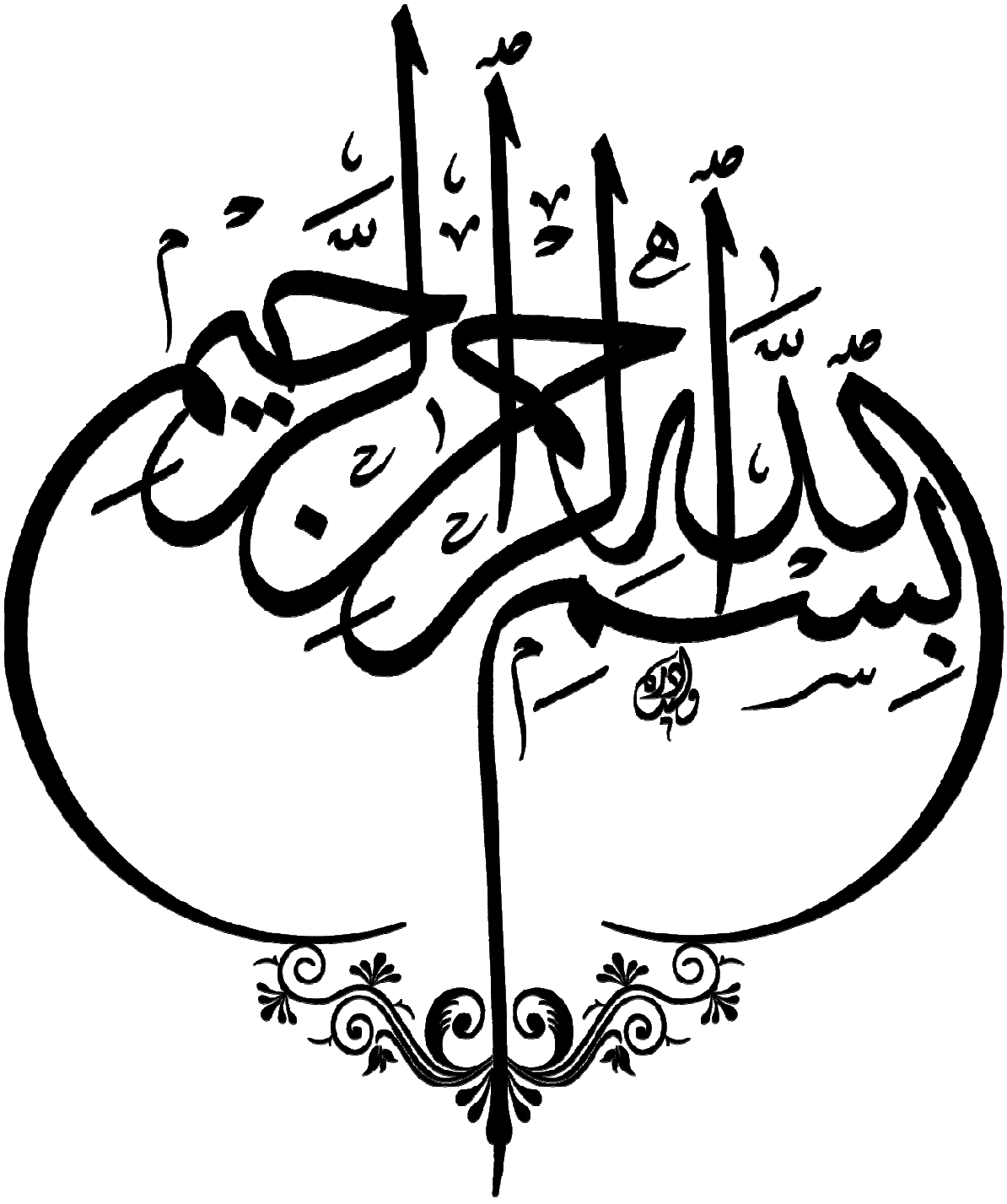
بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة العربي التبسي- تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

الرقم : ..... /ق.ت.آ/ ك.ع.ا.ا/ج.ع.ت.ت/ 2020

إذن بالطبع

أنا الموقع أسفله الأستاذ(ة) : .....موهوبي.....مبروك.....

المشرف على مذكرة تخرج : ماستر ماجستير ☐ دكتوراه ع ☐ دكتوراه ل.م.د ☐

المعنونة بـ :

.....دراسة تاريخية تحليلية لكتاب هبة كفاح.....
.....الجزء الثالث لصاحبه أحمد توفيق المدني.....

تخصص :

.....تاريخ الثورة الجزائرية.....

من إعداد الطلبة:

- 01 .....جاحيي.....عبد الباسط.....
- 02 .....مالك.....منير.....

أشهد بأن المذكرة تستوفي كل الشروط العلمية والمنهجية، وعليه أوقع هذا الإقرار والإذن بالطبع.

تبسة في : 30/05/2020

إمضاء الأستاذ المشرف

MOUHOUB

الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة
وزارة التعليـــــم العـــــالي و البحـــث العلمـــي
جامعـــــة العربـــي التبســـي- تبســـة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

تعهد

أنا الموقع أسفله

الطالب (ة): ..حاجب عبد الناصر.....

صاحب بطاقة التعريف الوطني رقم: ..446639.. الصادرة بتاريخ: 2016/03/06

والمكلف بإنجاز مذكرة تخرج ماستر في تخصص تاريخ الثورة التحريرية.

المعنونة بـ :

..دراسة تاريخية تحليلية لمذكرات "حياة كفاح الجزء الثالث"..

.....

..لصاحبها أحمد توفيق المدني.....

أتعهد أنني التزمت بمراعاة كافة معايير الأمانة العلمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه، وفي حالة مخالفتي لذلك أتحمل جميع التبعات القانونية.

تبسة في : 31/05/2020

إمضاء وبصمة الطالب

رئيس المجلس الشعبي البلدي
إمضاء وبصمة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة العربي التبسي- تبسة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

تعهد

أنا الممضي أسفله :

الطالب (ة) : ..... مالك حنيش .....

صاحب بطاقة التعريف الوطني رقم: ..... 901966 ..... الصادرة بتاريخ : ..... 2012-05-02 الشريعة .....

والمكلف بإنجاز مذكرة تخرج ماستر في تخصص تاريخ الثورة التحريرية.

المعنونة بـ :

..... دراسة تاريخية تحليلية لكتاب أحمد توفيق المدني .....
..... حياة كفاح الجزء الثالث .....
.....

أتعهد أنني التزمت بمراعاة كافة معايير الأمانة العلمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه، وفي حالة مخالفتي لذلك أتحمل جميع التبعات القانونية.

تبسة في : 10/01/ 2020.

إمضاء وبصمة الطالب

شكر وعرفان

الحمد لله على نعمة العقل، نحمده حمدا كثيرا على نعمه وفضله علينا

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع

وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تبسة، ونخص بالذكر أساتذة قسم التاريخ والآثار دون استثناء لما قدموه لنا من معرفة علمية وتوجيه منهجي طوال فترة الدراسة.

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ موهوب مبروك الذي نلنا شرف تأطيره لنا.

والشكر موصول لكل موظفي وعمال كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، خاصة عمال وموظفي مكتبة الكلية.

وكذلك نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذه المذكرة، وفي مقدمتهم الزميل زيتون عبد الواحد الذي أعارنا مجموعة كبيرة من المراجع.

وإلى رضوان مباركية الذي ساعد كثيرا في مهمة إخراجها

الإهداء:

أهدي ثمرة جهدي في هذه المذكرة وبالدرجة الأولى إلى **الوالدة الكريمة** التي شجعتني ودفعتني إلى العودة إلى مقاعد الدراسة بعد فترة غياب دامت إحدى عشر سنة.

إلى **الوالد الكريم** وإخوتي وأخواتي وإلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد إلى الزملاء والزميلات طلبة قسم التاريخ والآثار

وإلى كل من يقرأ ويتصفح هذه المذكرة

عبد الناصر

الإهداء

أهديكم سلاما لو رفع إلى السماء لكان قمرا منيرا، ولو نزل إلى الأرض لكساها سندسا وحريرا، ولو مزج بماء البحر لصار الملح الأجاج عذبا فراتا سلسبيلا..

إلى التي بقلم حبها اجتهدت.. وبصوت دعاءها في الدجى نجحت.. إلى صاحبة النبع الذي لا ينبض نوره.. والحب الذي لا ينتهي عطاءه.. إليك يا من علمتني معنى الحياة ومغزى النجاح وجوهر التحدي ولذة الانتصار.. أنت التي أعطيتني دائما ودوما دون أن تبخسي بمقدار ما منحتني.. فلكي مني ثمرة ما صنعت.. مني لك نجاحي

"أمـــي".

إلى من تسجد له كلماتي وتنحني له أحاسيسي.. إلى من أعطاني العطف والحنان وكل الرعاية.. إلى من علمني حياة الكفاح ووراء كل تعب واجتهاد نجاح.. غلى الذي أظلني بظله.. ورسم طريق علمي بما لا يصلح لأحد تجاوزه.. إليك يا تاج وعنوان نجاحي..

إليك "أبـــي" –رحمة الله عليك-.

إلى الذين ذاقوا الحلوة والمرة معي.. والذين رافقوني في هذه الحياة.. "إخوتي وأخواتي".

إلى أبناء الأخوات: "سلسبيل، طه أمين، عبد الوكيل، ملاك، ريماس، معتصم بالله"

إلى كل زميلاتي وأصدقائي بدون استثناء على رأسهم: "وفاء ربح الله، آية، نهى"

وصفوة القول أحمد الله على إنجاز هذا العمل وأن يكون في المستوى المطلوب.

حنيـــــن

قائمة المختصرات

الاختصار	التسمية
ط	الطبعة
تر	ترجمة
دط	دون طبعة
ط خ	طبعة خاصة
دت	دون تاريخ
ددن	دون دار النشر
م وف م	المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
ج ت و	جبهة التحرير الوطني
ح م ج ج	الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية
ص	الصفحة
ج	الجزء
PPA	حزب الشعب
MTLD	حركة الانتصار للحريات الديمقراطية
MNA	الحركة الوطنية الجزائرية
CCE	لجنة التنسيق والتنفيذ
CNRA	المجلس الوطني للثورة الجزائرية

فهرس المحتويات

العنوان **الصفحة**

مقدمة.....أ

مدخل: الواقع السياسي للجزائر المستعمرة قبيل اندلاع الثورة التحريرية (1954م-1962م).....7

1-الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA): 09

2-الحزب الشيوعي الجزائري:.... 11

3-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:.... 12

4-حركة الانتصار للحريات الديمقراطية:.....13

الفصل الأول: أحمد توفيق المدني ومساره النضالي.....17

المبحث الأول: تكوين شخصية توفيق للمدني 19

المطلب الأول: المولد والنشأة 19

المطلب الثاني: التعليم والمغذيات الفكرية لشخصية توفيق المدني 23

المبحث الثاني: النضال السياسي لتوفيق المدني.....27

المطلب الأول: النضال السياسي لتوفيق المدني في تونس 27

المطلب الثاني: النضال السياسي لتوفيق المدني في الجزائر (1925-1954).....29

أولا: مساهمته في تأسيس جمعية العلماء المسلمين:.....29

ثانيا: مشاركته في إصدار بيان الشعب الجزائري 10 فيفري 1943:.... 31

ثالثا: مشاركته في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها:.... 31

المطلب الثالث: النضال السياسي لتوفيق المدني من خلال الصحافة والتأليف.....32

أولا: نشاطه الصحفي:.... 34

ثانيا: مؤلفاته وإبداعاته الفكرية والثقافية:.... 40

1-تقويم المنصور:... 41

2-قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي:.....41

3-كتاب الجزائر:... 42

4-محمد عثمان باشا (داي الجزائر 1766-1796):.. 43

5-المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا:.....45

6-جغرافية القطر الجزائري:.....46

7-حنبعل: 46

8-هذه هي الجزائر:.....47

9-حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792):.....47

10-مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر: 48
11-حياة كفاح (مذكرات):..... 49
12-رد أديب على حملة الأكاذيب:..... 49
الفصل الثاني: المدني من النشاط السياسي إلى النشاط الدبلوماسي..... 52
المبحث الأول: العلماء والثورة..... 54
المطلب الأول: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية..... 54
المطلب الثاني: موقف جريدة البصائر من الثورة التحريرية (1954-1956) 59
المطلب الثالث: التحاق المدني بالثورة 64
المبحث الثاني: النشاط السياسي لجبهة التحرير وأثرة على الثورة (1956-1958)..... 67
المطلب الأول: التشكيلة الثانية للوفد الخارجي وأهم النشاطات..... 67
أولا: النشاطات الدعائية:.... 69
ثانيا: النشاط العسكري:..... 70
المطلب الثاني: أهم النكبات التي واجهت الثورة 71
أولا: حادثة اختطاف الطائرة (22 أكتوبر 1956) وانعكاساته على الثورة:..... 71
ثانيا: حادثة حجز المركبة آتوس (16 أكتوبر 1956):.... 74
ثالثا: العدوان الثلاثي على مصر (29 أكتوبر 1956):..... 75
المطلب الثالث: مؤتمر الصومام وتداعياته 76
المطلب الرابع: التشكيلة الثالثة للوفد الخارجي وأهم نشاطاتها 79
الفصل الثالث: المدني ونضاله في الحكومة المؤقتة وجامعة الدول العربية..... 83
المبحث الأول: الحكومة المؤقتة الأولى للجمهورية الجزائرية(سبتمبر 1958- ديسمبر 1959) 85
المطلب الأول: التأسيس والصعوبات 85
أولا: تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية:.... 85
ثانيا: أهم الصعوبات التي واجهت الحكومة المؤقتة 1958-1960:.... 88
1-مؤامرة العموري: 88
2-حادثة عميرة علاوة: 89
المطلب الثاني: تعثر الحكومة المؤقتة الأولى 90
المطلب الثالث: ملخص أعمال وزارة الثقافة (أكتوبر 1958- نوفمبر 1959) 93
أولا: الهيكل الإداري لوزارة الثقافة:..... 93
ثانيا: حالة الطلبة في البلاد العربية:.... 94
1-في تونس:..... 94
2-في المغرب:. 95

3–في باقي الدول العربية الأخرى:. 95
المبحث الثاني: التمثيل الدائم في جامعة الدول العربية وأهم القضايا 98
المطلب الأول: نضال المدني في جامعة الدول العربية 98
أولا: تونس وقضية الحدود:.... 98
ثانيا: قضية التفجير النووي الفرنسي بالجزائر:.... 99
المطلب الثاني: مراحل المفاوضات بين فرنسا والجزائر 101
أولا: عهد الجمهورية الفرنسية الرابعة:.... 101
ثانيا: في عهد الجمهورية الخامسة:.... 101
المطلب الثالث: المرحلة الانتقالية وأهم الأحداث 105
أولا: مؤتمر طرابلس:..... 105
ثانيا: قضية أموال الجزائريين الراجعين من تونس إلى الجزائر:..... 106
ثالثا: موقف المدني من السلطة الشرعية في الجزائر:.... 107
رابعا: استقدام المدني إلى الجزائر:.... 108

المأخذ في مذكرات حياة كفاح ج3 لأحمد توفيق المدني: 109
أولا: الجانب الشكلي:..... 109
ثانيا: الجانب الموضوعي:..... 110
ثالثا: الجانب المنهجي:..... 112
الخاتمة 115
الملاحق 118
قائمة المصادر والمراجع: 126

مقدمة

تعد المذكرات الشخصية عملا جديدا في الحياة الفكرية والسياسية بالجزائر، فالرجوع بصاحبها إلى سنوات خلت وماض قريب، يعتبر شجاعة كبيرة وعملا حضاريا، إذ يتم من خلالها الكشف عن خبايا مرحلة عاشها في خضم ظروف معينة، كان شاهدا وطرفا فاعلا فيها.

ومن بين أهم مراحل تاريخ الجزائر التي أسالت الحبر الكثير مرحلة الثورة التحريرية، خاصة أنها شهدت اهتماما كبيرا من قبل الباحثين الغربيين، فأصبح لزاما على كل من عايش الثورة وشارك في حيثياتها مطالبا بتقديم مذكراته الشخصية، وخاصة الطبقة المثقفة منها، وذلك للتصدي لما قد يشوب هذه الفترة من شبهات وتحريفات، ويسمح بكتابة تاريخ الجزائر بأيادي جزائرية انطلاقا من شهادات الفاعلين فيها، ومن بين الشخصيات التي تركت مذكرات شاهدة ومخلدة للثورة التحريرية نجد أحمد توفيق المدني صاحب مذكرات حياة كفاح الجزء الثالث التي تغطي هذه الفترة، وبصفته كاتب وصحفي ومناضل سابق في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومناضل مسؤول في جبهة التحرير الوطني منذ سنة 1956 إلى غاية فترة الاستقلال، تعتبر كتاباته مصدرا هاما يلجأ إليها الباحثون في كتابة تاريخ الجزائر، خاصة وأنه تكلم عن الأنشطة السياسية والثقافية والإعلامية التي شارك فيها أثناء تأدية مهامه الثورية، مسجلا تفاصيل دقيقة عن خلفيات بعض الصراعات في الداخل والخارج، كما بين العلاقة التي تربط جبهة التحرير الوطني بالدول العربية، وإيديولوجية كل من هذه الدول، وما آلت إليه التطورات السياسية في تلك الفترة من جراء مخلفات الاستعمار والصراع بين الشرق والغرب.

ومن هذا المنطلق كان موضوع الدراسة «دراسة تاريخية تحليلية لكتاب حياة كفاح الجزء الثالث».

أهمية موضوع البحث:

تكمن أهمية الدراسة التاريخية التحليلية لكتاب حياة كفاح الجزء الثالث لصاحبه أحمد توفيق المدني فيما يلي:

– يعتبر حياة كفاح الجزء الثالث مصدرا هاما لأن صاحبه عايش أحداث الثورة التحريرية، وتولى فيها عدة مسؤوليات أهلته لأن يكون عنصرا فاعلا فيها.

– المساهمة من خلال هذه الدراسة المتواضعة بتسليط الضوء على رائد من رواد الحركة الوطنية، ومدى إسهاماته في الثورة التحريرية.

– البحث في المواضيع التي تناولها الكاتب من خلال مذكراته (حياة كفاح، ج3) ومحاولة دراستها دراسة تاريخية تحليلية من خلال الاعتماد على مصادر ومراجع تناولت نفس المواضيع، والاستفادة من الآراء المختلفة للوقائع والأحداث التي شهدتها الثورة التحريرية.

– دراسة مراحل الثورة التحريرية من زاوية أحد الفاعلين فيها، خاصة أنه كان بعيدا عن الصراعات التي أثقلت كاهلها.

– المساهمة في كتابة تاريخ الجزائر، ولو بشكل بسيط، وبذلك فتح المجال في مثل هذه الدراسات للباحثين لتدارك ما غفلنا عنه، ولتصويب ما أخطأنا بشأنه.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية دفعتنا لاختيار موضوع البحث:

1– الأسباب الذاتية:

– الرغبة الشخصية في البحث في مجال المذكرات الشخصية، خاصة ما تعلق منها بتاريخ الثورة الجزائرية.

– التعرف أكثر على شخصية المؤلف ونضاله إبان الثورة التحريرية.

– التشجيع الذي لقيناه من طرف أساتذة قسم التاريخ بجامعة الشيخ العربي التبسي، وخاصة الأستاذ المشرف موهوب مبروك والأستاذ أحمد شنتي.

الأسباب الموضوعية:

– البحث في الدور الذي لعبه رواد الإصلاح وخاصة توفيق المدني فترة الثورة التحريرية.

– عند صدور مذكرات حياة كفاح بأجزائها الثلاثة، فتحت جدالا كبيرا خاصة من طرف المقربين منه، وأصدقائه من العلماء، وهذا ما دفعنا إلى تسليط الضوء على المواضيع التي تناولها الكاتب في مذكراته حياة كفاح ج3.

– دراسة الحقائق التاريخية من مصادرها الأصلية.

إشكالية البحث:

يؤخذ التاريخ من مصادره، وكتاب حياة كفاح ج3 يعد مصدرا مهما من مصادر تاريخ الثورة التحريرية باعتباره شاملا لمختلف المراحل، وتناوله للعديد من المواضيع والنشاطات خاصة في المجال السياسي والدبلوماسي، وبما أن موضوع الدراسة يتناول الجانب التاريخي التحليلي للكتاب، فإن إشكالية البحث تدور حول شخصية الباحث، وما جاء به من شهادات ووثائق ووصف لأحداث ووقائع تمت في إطار تطور الأوضاع سواء في الداخل أو في الخارج وصولا إلى مرحلة الاستقلال، وفي نفس الوقت تقيس رؤى وتوجهات الكاتب وميولاته من خلال الخوض في بعض المسائل الحساسة والصراعات القائمة آنذاك، أو الابتعاد عن تناولها وعدم الإفصاح بشأنها، ومنه جاءت صيغة الإشكالية كالأتي :

إلى أي مدى استطاع توفيق المدني أن يجسد وقائع الثورة التحريرية في مذكرات حياة كفاح ج3 انطلاقا من معايشته لمختلف المراحل ؟ وبما اتسمت كتاباته من خلال هذه المذكرة ؟.

وتندرج تحت الإشكالية الكبرى إشكاليات فرعية والتي تطرح:

- من هو أحمد توفيق المدني؟.
- كيف كان موقف رواد الإصلاح وخاصة المدني من الثورة التحريرية ؟.
- فيما يكمن الدور الذي لعبه المدني في بداية التحاقه بالثورة؟، ومن ثم باقي المراحل.
- ما هي أهم القضايا التي عالجها المؤلف في مذكراته؟ وإلى أي مدى بينت هذه القضايا الواقع السياسي والدبلوماسي للثورة التحريرية؟.
- إلى أي مدى ساهم كتاب حياة كفاح ج3 في كتابة تاريخ الثورة؟ وما هي أهم المآخذ التي استنبطت بشأنه؟.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثنا في المراجع المتعلقة بالموضوع، ولحد علمنا لم نجد أي دراسة تناولت حياة كفاح ج3 دراسة تاريخية تحليلية، ما عدا ما تعلق بشخصية أحمد توفيق المدني وجدنا

بعض الدراسات السابقة التي سلطت الضوء على حياته ودوره السياسي والثقافي في كل من تونس والجزائر، ومن بين هذه الدراسات نجد:

- دراسة عبد القادر خليفي: التي حملت عنوان : "أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، حيث استعرض من خلالها شخصية المدني كرجل سياسي ومفكر وكاتب، ودوره في القطرين التونسي والجزائري.

مناهج البحث:

نظرا لطبيعة الدراسة، وللإجابة على الإشكالية المطروحة اتبعنا المناهج الآتية:

– المنهج التاريخي الوصفي: اعتمدنا عليه خاصة في البحث في شخصية الكاتب، ووصف أهم مراحل حياته، وكذلك في رصد الأحداث والوقائع وترتيبها كرونولوجيا.

– المنهج التاريخي التحليلي: لطبيعة الدراسة اعتمدنا على هذا المنهج خاصة في الفصل الثاني والثالث، وهذا لتحقيق أكبر قدر من الموضوعية والابتعاد عن الذاتية وميولات الكاتب.

– المنهج المقارن: اعتمدنا على هذا المنهج وذلك نظرا لتعدد المواقف، وتباين الآراء سواء ما تم طرحه من طرف الكاتب، وما تناولته مصادر ومراجع أخرى.

– المنهج الإحصائي: وإعتمدنا عليه في المبحث الأول الفصل الثاني ،وذلك فيما يخص المواضيع التي تناولتها جريدة البصائر.

خطة البحث:

لإتمام هذه الدراسة اتبعنا خطة بحث تتكون من مدخل وثلاثة فصول، تناولنا في المدخل الوضع السياسي للجزائر قبيل اندلاع الثورة التحريرية، وفيه عرجنا على نشاط تيارات الحركة الوطنية، ولو بشكل بسيط للتمهيد للموضوع.

الفصل الأول جاء بعنوان: "أحمد توفيق المدني ومساره النضالي"، ومن خلاله تعرفنا على شخصية المؤلف ونضاله السياسي في كل من تونس والجزائر، وكذلك نشاطاته الصحفية ومؤلفاته.

الفصل الثاني جاء تحت عنوان: المدني من النشاط السياسي إلى النشاط الدبلوماسي، وتطرقنا من خلاله إلى موقف كل من المدني وجمعية العلماء وجريدة البصائر لسان حال الجمعية من الثورة التحريرية، إضافة إلى التحاق المدني بالوفد الخارجي وأهم النشاطات التي قاموا بها سواء في التشكيلة الثانية والثالثة، ثم التعريج على مؤتمر الصومام الذي كان نقطة تحول بالنسبة للثورة وللوفد الخارجي، وكذلك أهم النكبات التي واجهت هذه الأخيرة.

الفصل الثالث جاء تحت عنوان: "المدني ونضاله في الحكومة المؤقتة وجامعة الدول العربية"، وذلك خلال الفترة الزمنية الممتدة من 1958 إلى غاية 1962، حيث تطرقنا إلى تأسيس الحكومة المؤقتة الأولى، وأهم الصعوبات التي واجهتها، وتعثر هذه الأخيرة، إضافة إلى إدراج ملخص لأعمال وزارة الثقافة [أكتوبر 1958 – ديسمبر 1959]، ويليه نضال المدني في جامعة الدول العربية، والتعريج على مراحل المفاوضات التي أدت إلى استقلال الجزائر، وانتهاء بالوقوف على أهم الأحداث التي شهدتها المرحلة الانتقالية.

وفي آخر الدراسة اهتدينا إلى إدراج عنصر منفصل وحيادي على الفصول السابقة، وفيه تناولنا **المآخذ في مذكرات حياة كفاح ج3**، وركزنا على السلبية منها من وجهة نظرنا، وذلك للإفادة ليس إلا، وترك مجال البحث مفتوح للباحثين لإتمام ما سهونا عنه، ولتصويب ما أخطأنا بشأنه.

نقد المصادر والمراجع:

اعتمدنا في الدراسة على جملة من المصادر والمراجع، ومن بين أهمها نذكر:

<u>نقد المصادر</u>:

– مؤلفات أحمد توفيق المدني، وخاصة مذكرات حياة كفاح ج3، والذي كان محل الدراسة والتحليل، ومن خلال هذه المصادر تعرفنا أكثر على شخصية المدني ومساره النضالي، والدور الذي لعبه سواء في المجال الثقافي أو السياسي والدبلوماسي، وتغطية لفترة زمنية مهمة من القرن العشرين.

– كتاب سعد دحلب: المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، والذي ساعدنا كثيرا في فهم أحداث ومجريات الثورة التحريرية.

– بن يوسف بن خدة: نهاية حرب التحرير اتفاقيات إيفيان، والتي ساعدتنا كثيرا في فهم مراحل المفاوضات، بالإضافة إلى مؤلف رضا مالك، وأوليفي لونغ.

– محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، والذي اطلعنا فيه على مجريات وأحداث اندلاع الثورة التحريرية.

– جريدة البصائر: والتي استفدنا من الأعداد الصادرة نهاية سنة 1954 إلى غاية 1956.

نقد المراجع:

– قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية، وقد أفادنا بشكل كبير خاصة في المواقف المختلفة من الثورة التحريرية.

– محمد العربي الزبيري: الثورة في عامها الأول، والذي أفادنا في التعرف أكثر على مجريات الأحداث في بداية الثورة التحريرية.

– محمد الطاهر فضلاء: التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، والذي زودنا بأهم الاتهامات الموجهة للمدني، والمأخذ في مذكرات حياة كفاح ج3.

الصعوبات:

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا أثناء قيامنا بالبحث نذكر:

– حجم الكتاب الكبير، وكذلك ثرائه بالمواضيع التي تناولها وكثرتها، حيث احتوى على أكثر من 308 عنوان، وهذا جعلنا نجد صعوبة في انتقاء البعض وترك البعض الآخر.

– صعوبة البحث في هذه الظروف بسبب جائحة كورونا (COVID-19) وما ترتب عليه من غلق gلمكتبات، وصعوبة التنسيق فيما بيننا نحن أعضاء البحث.

مدخـــل

الواقع السياسي للجزائر
المستعمرة قبيل اندلاع الثورة
التحريرية (1954م-1962م)

قامت السلطات الاستعمارية بعد ارتكابها لمجازر الثامن ماي 1945م بحل جبهة أحباب البيان والحرية، وضيقت الخناق على جمعية العلماء المسلمين، وزادت من قمعها لأنصار حزب الشعب الذي كان محضورا آنذاك، واعتقلت الآلاف وحكمت عليهم بالإعدام والنفي والسجن والتغريم، وتم اعتقال الشيخ الإبراهيمي*، وفرحات عباس**، بعدما نفت رئيس حزب الشعب إلى برازافيل في 24 أفريل 1945[1].

والتاريخ أثبت أن مصالي الحاج*** كان على حق في إدراكه للواقع الاستعماري وموقفه منه، وذلك من خلال ما قاله ذات يوم لفرحات عباس: «إنني أثق فيك في العمل من أجل إقامة جمهورية جزائرية في نظام فدرالي مع فرنسا لكنني بالمقابل لا أثق في فرنسا، إن فرنسا لن تعطيك شيئا ولن تتنازل عن أي شيء إلا بالقوة، لأن ما أخذته بالقوة لا يمكن انتزاعه إلا بالقوة»[2].

وكانت كل من فرنسا التابعة للماريشال بيتان وفرنسا المقاومة، ترفضان فكرة استقلال المستعمرات الفرنسية عن فرنسا الأم، ولم ترد في ندوة برازافيل المنعقدة في جانفي 1944، أدنى إشارة إلى الاستقلال أو الحكم الذاتي «إن الأهداف الحضارية التي أنجزتها فرنسا في

---

* من مواليد سطيف (1889) يدين بثقافته وعلمه للمشرق العربي، ليصبح عام 1931م نائب رئيس جمعية العلماء، وبعد وفاة ابن بادس عام 1940، أصبح رئيسا لها، هاجر سنة 1951 إلى المشرق، التحق بالثورة سنة 1956 رسميا من مصر، عارض علنا وباسم الدين التوجه الذي أعطاه بن بلة للجزائر، وتوفي سنة 1965م.

** ولد عام 1899م في الطاهير ولاية جيجل، منذ شبابه كان مولعا بالشؤون السياسية منذ العشرينات، تخرج من كلية الصيدلة، عضو في فدرالية المنتخبين، أسس الاتحاد الشعبي الجزائري سنة 1938م، ثم حركة أحباب البيان والحرية، ليؤسس سنة 1946 حزب البيان UDMA، انضم إلى الجبهة عام 1955م، أول رئيس للحكومة المؤقتة الجزائرية، للمزيد ينظر: (فرحات عباس: ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005).

[1]- بشير ملاح: تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، ج1، دار المعارف، الجزائر، 2006، ص463.

*** من مواليد 16 ماي 1898 بتلمسان، جند في الجيش الفرنسي سنة 1918، بعد خروجه من الجيش سنة 1921 بدأ حياته النقابية، ثم أسس حزب نجم شمال إفريقيا في باريس سنة 1927 ثم حزب الشعب سنة 1937، تعرض للنفي والسجن والإقامة الجبرية لعدة مرات، وفي سنة 1946 أسس حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، تعرض حزبه لعدة أزمات، أدت إلى انشقاقه إلى تيارين متصارعين، وعند تفجير الثورة أسس حزب جديد تحت اسم الحركة الوطنية الجزائرية في ديسمبر 1954 منافسا لجبهة التحرير الوطني، توفي سنة 1974م.

[2]- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2005، ص238.

المستعمرات تستبعد أية فكرة عن الاستقلال الذاتي، وأية إمكانية للتطور خارج الإمبراطورية الفرنسية، ومن ثمة فلا مجال للتفكير في إقامة حكم ذاتي في المستعمرات ولو على المدى البعيد».

وجاء في صحيفة "ليبرتي"[1] لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي بتاريخ 20 جانفي 1944 ما مفاده*: «إن الجمهورية الفرنسية، بما في ذلك الوطن الأم، وأقاليمه الواقعة فيما وراء البحار، وحدة لا تقبل التجزئة، وإن الديمقراطية السياسية تعني منح صفة المواطنة لجميع السكان المتواجدين فوق الأراضي الفرنسية»، ومن هذا المنطلق، ولكي نفهم الواقع السياسي للجزائر قبيل اندلاع الثورة، وجب تتبع نشاط ونضال الأحزاب والجمعيات الجزائرية، خاصة بعد إصدار قانون العفو العام**، وإتباع إستراتيجية تزوير الانتخابات من طرف الإدارة الفرنسية، ومحاولة الحفاظ على أطروحة الجزائر فرنسية.

1- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA):

يذكر فرحات عباس في كتابه ليل الاستعمار فيقول: «لما صوت المجلس التأسيسي الأول على قانون العفو، أطلق سراحي بتاريخ 16 مارس 1946»، وبعد صدور قانون العفو العام، بادر فرحات عباس بتأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الذي قام على مبادئ التمسك بالعلم وبالفهم، والارتقاء إلى العمل، وبالمفاهيم الاجتماعية العصرية، ويجب أن يكون الجزائري المسيحي أو اليهودي أخا للجزائري المسلم[2]، وفي خطابه يوم أول ماي 1946 أعلن فرحات عباس عن سياسته الجديدة تحت شعارات لا للاندماج، لا للأسياد الجدد، لا للانفصال[3].

---

[1]- بن يوسف بن خدة: جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، الطبعة الثانية، دار الشاطبية للنشر، الجزائر، 2012، ص132.

* كتب هذا المقال تأييدا لمرسوم 07 مارس 1944 الذي يجسد رد فعل الجنرال ديغول على "بيان الشعب الجزائري الصادر في 10 فيفري 1943" للمزيد ينظر: (بن يوسف بن خدة، المصدر نفسه، ص134).

** صدر هذا القانون في مارس 1946.

[2]- فرحات عباس: ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص118.

[3]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص241.

وكانت مشاركة حزب البيان في الانتخابات، ابتداء من انتخابات المجلس التشريعي الثاني بتاريخ 02 جوان 1946، أحرز فيه على إحدى عشر مقعدا من مجموع ثلاثة عشر مقعدا[1]، والتف حول لوائحها أكثر من 450 ألف صوت، أي بنسبة 72% من الأصوات المعبر عنها، ويرجع محمد حربي هذا التجاوب إلى مؤازرة العلماء لها[2]، وتراجع حزب البيان عن تقديم مرشحين في انتخابات نوفمبر 1946م للمجلس التشريعي الأول، ليتمكن مصالي الحاج من مجابهة الرأي العام الفرنسي، بعد إطلاق سراحه*.

وكانت الحياة السياسية في الجزائر متعلقة في جزء كبير منها بالروابط بين الحزبين الوطنيين وهما: حزب الشعب الجزائري، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أما الإدارة الفرنسية فقد أدركت أهمية هذه الروابط، وسعت إلى التفريق بين هذين الحزبين، فكان المستقبل رهين البراعة السياسية لحزب الشعب الجزائري، ونضج الاتحاد الديمقراطي للبيان في مواجهة مناورات الإدارة للتفريق بينهم[3].

ومن أجل القيام بالدعاية اتجه وفد يضم على الخصوص عباس فرحات وأحمد فرنيس* إلى باريس للتعريف بمشروع الحزب في الأوساط السياسية، وبمدينة الجزائر أودع الأمين العام للحزب مذكرة تطالب بقانون ديمقراطي مع جمعية جزائرية سيدة في إطار الاتحاد الفرنسي[4].

وفي يوم 09 أوت 1946 قاد فرحات عباس باسم الحزب مشروع جديد للإصلاحات السياسية، ولكن نتيجة التصويت جاءت سلبا على المشروع، حيث صوت 319 صوت ضد

---

[1]– فرحات عباس، المصدر السابق، ص121.

[2]– محمد حربي: الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص09.

* يذكر فرحات عباس في كتابه ليل الاستعمار، بأن مصالي الحاج طلب منا ألا نخوض غمار الانتخابات لئلا نمزق القوات الوطنية، وصرح أنه قادر على انتزاع استقلال الجزائر، للمزيد ينظر: (فرحات عباس: المصدر السابق، ص122).

[3]– محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة أحمد بن البار، الجزء الثاني 1939–1951، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص1008.

** ولد في 12 نوفمبر 1910، لازم فرحات عباس معتقدا بالتدرج في المطالب الوطنية، وساهم في تأسيس حركة أحباب البيان والحرية سنة 1944، كان عضوا بارزا في الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وزيرا للمالية بالحكومة المؤقتة (1958–1961) تقفي في 01 سبتمبر 1968.

[4]–. محفوظ قداش: المرجع السابق، ص1019.

89 صوت، وشعر فرحات عباس وزملائه بخيبة أمل كبيرة، لأن القانون الجديد لم يتضمن أية نقطة من النقاط التي اشتمل عليها برنامجه، وباختصار فإن قانون 20 سبتمبر 1947 قد أغلق باب العمل الشرعي، خاصة بعد مجيء "نايجلان" الذي عرفت فترته بتزوير الانتخابات، واستمر الوضع متأزما بين فرحات عباس والفرنسيين إلى أن قامت الثورة التحريرية ليلتحق بها ويقطع علاقاته بالإدارة الفرنسية نهائيا، ويكون عضوا بارزا في الثورة[1].

2- الحزب الشيوعي الجزائري:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حاول قادة الحزب الشيوعي الجزائري إدخال عدة عناصر مسلمة إلى صفوف*، وبدأ بطبع دورية باللغة العربية تحت اسم "الجزائر الجديدة"، ونجح في رفع عدد المنخرطين إلى حوالي 15000 عضوا سنة 1947، وحافظ الحزب على هذا العدد إلى غاية 1956، وكانت علاقة الحزب بالوطنيين سيئة**، ولم يقبلوا أيضا فكرة انفصال الجزائر عن فرنسا وكانوا أيضا ضد استعمال العنف، ولهذا فإن التزامهم بالحل الديمقراطي والمشاركة في الانتخابات المزورة من طرف الإدارة الاستعمارية قد جعلهم يفقدون المصداقية في الأوساط الشعبية، كما أنهم ينتهجون سياسة مستمدة من الخارج من الشيوعية الدولية[2]، والشيوعيون وحدهم اعتقدوا أن قانون 20 سبتمبر 1947 ليس سلبا بالكامل، وأن معظم بنوده تعتبر أمورا معتبرة[3].

وعند اندلاع الثورة التحريرية، كان الحزب الشيوعي الجزائري يرى أن أفضل طريق لتجنب إراقة الدماء، يتمثل في الاستجابة لمطالب الجزائريين، وذلك بالبحث عن حل ديمقراطي يضمن مصالح جميع السكان دون تمييز ديني أو عرقي، ويضمن مصالح فرنسا[4].

---

[1]-عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 242-243.

* أمثال الصادق هجريس، مبروك بلحوسين، بوعلام خالفة، عمر أوصديق.

** ساءت العلاقة بينهم خاصة بعد اتهام الحزب الشيوعي لأعضاء حزب الشعب PPA في أحداث ماي 1945 بأنهم من المشاغبين ومن المؤيدين للفاشية الدولية، للمزيد ينظر: (محمد حربي: الثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص37).

[2]-عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 285-286.

[3]-محفوظ قداش، المرجع السابق، ص1029.

[4]-محمد حربي: الثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص36.

3- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انطلقت أعمالها منذ البداية كمنظمة تعليمية ذات أهداف محددة، تشتغل في إطار دولة استعمارية، فقد كانت جهودها تهدف إلى إحياء الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية والسعي إلى توحيد أبناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة والإسلام ونشر وتعليم اللغة العربية[1].

جمعية العلماء تميزت بوجود نخبة من رجال الإصلاح في الجزائر يرجع إليهم الفضل في تنشيط جرائد جمعية العلماء وإقامة علاقات وطيدة مع الحركات الإسلامية في تونس وفي المشرق العربي، وبعد وفاة عبد الحميد بن باديس*، تولى الشيخ البشير الإبراهيمي رئاسة الجمعية، حيث كتب في جريدة البصائر يقول: « لم نر من فرنسا الاستعمارية إلا الهضم لديننا والمحو للغتنا ومقوماتنا، والزراية بجنسيتنا، والمن علينا بما لم نذق طعمه ولم نرح رائحته، والاستكبار في الأرض بغير الحق، والنكران لفضلنا عليها في الأزمات... هذه هي فرنسا التي نعرفها، أو هذا هو الجانب الذي نعرفه من جوانب فرنسا، قلنا فيه ما نعرف، وشهدنا بما نعلم، فإن كان لها جانب غير الذي عرفناه، فسلوا عن العسل من ذاق طعمه، أما نحن فقد ذقنا الحنظل فوصفنا الحنظل».

وكتبت جمعية العلماء التي تموقعت على الصعيد السياسي في سياق الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية**، وقد ذكّر فيها الشيخ البشير الإبراهيمي

---

[1]-عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموقفها من ظهور الحركة البربرية في الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 63-64، جويلية 1991، ص ص 243-244.

* ولد سنة 1889 بقسنطينة وتوفي بها سنة 1940، أسس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 رفقة مجموعة من رجال الإصلاح، أصدر عدة جرائد منذ 1925 من مثل المنقذ والشهاب.

** كان في هذه المرحلة يرأس الجمهورية الفرنسية السيد: فانسان أوريول وهو من مواليد سنة 1884، والمتوفى سنة 1966، اشتغل بالمحامات ومارسها قبل أن يغرق في بحر السياسة، اشتراكي المذهب، وزيرا للمالية بحكومة ليون بلوم سنة 1936، ثم وزيرا للعدل سنتي 1937-1938، ساهم في حرب التحرير الفرنسية، وانتخب رئيس للمجلسين التأسيسيين وللمجلس الوطني من بعدهما، ثم رئيس للجمهورية الفرنسية من سنة 1947 إلى غاية سنة 1954.

بالمبادئ الأربعة الأساسية لوجود الشعب الجزائري[1]: (الشخصية الجزائرية، أصله العربي، لغته العربية، وعقيدته الإسلامية).

حركة جمعية العلماء اتخذت نهجا جديدا يختلف عن ذلك الذي سلكه غيرها من الأحزاب والهيئات، وأدرك رجال الإصلاح أن حل المشكلة لا يكون بالمطالبة بحقوق سياسية، وإنما يكون بحركة جذرية تنتهي بتحقيق المطالب السياسية، بل التحرر الكامل، وذلك بإحياء الإسلام ومبادئه، فعمدت الجمعية إلى نشر هذا الوعي الإسلامي عن طريقين[2]:

- طريق الشعب في المساجد والنوادي والبيوت.
- وبواسطة الصحف والمجلات والكتب.

4- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية:

يعتبر تاريخ 11 أوت 1946، حدثا بارزا بالنسبة لحزب الشعب* المحظور، فهو تاريخ إطلاق سراح مصالي الحاج، الذي حلّ أولا بفرنسا، ثم كان وصوله إلى الجزائر العاصمة في 13 أكتوبر من نفس السنة[3]، حيث شرع في العمل من أجل إعادة بعث حزبه من جديد، والمشاركة في الانتخابات التشريعية الخاصة بالبرلمان الفرنسي، والمقررة يوم 10 نوفمبر 1946[4].

بانعقاد أول مؤتمر لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية في 15-16 فيفري 1947 تم إنشاء جناح سري شبه عسكري مهمته التحضير للثورة، وهو ما يعرف بالمنظمة الخاصة**،

---

[1]- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص1139.

[2]- محمد خير الدين: مذكرات الشيخ خير الدين، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، ص157.

* تأسس في 11 مارس 1937، في فرنسا بعد حضر نجم شمال إفريقيا بقيادة مصالي الحاج، حيث تعرض الحزب سنة 1939 إلى الحظر من طرف السلطات الاستعمارية ونفي رئيسه، للمزيد ينظر: (بن يوسف بن خدة: جذور أول نوفمبر، المصدر السابق، ص102).

[3]- محفوظ قداش: المرجع السابق، ص1009.

[4]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص311.

** تم تأسيس المنظمة الخاصة إثر انعقاد المؤتمر الأول لحركة انتصار الحريات الديمقراطية أيام 15-16 فيفري 1947 بمدينة الجزائر، وكان أول رئيس لها محمد بلوزداد، للمزيد ينظر: (عبد الوهاب شلالي: المنظمة الخاصة ومؤامرة تبسة، دراسة تاريخية موثقة، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، ص27).

كما شهدت الانتخابات التي جرت أيام 04 و11 أفريل 1948 التزوير من طرف الإدارة الفرنسية الاستعمارية، واعتقال مرشحي حركة انتصار الحريات الديمقراطية[1]، وبذلك حقق كل من نايجلان ومعه غلاة المستوطنين هدفهم المتمثل في تهميش الحركة داخل المجلس الجزائري.

لتأتي سنة 1950 ويتم فيها اكتشاف المنظمة الخاصة واعتقال معظم أفرادها، الذي بلغ عددهم حوالي 500 مناضل ثوري[2]، وذلك في شهر مارس وأفريل وماي، وأسفر عنه تفكيك هذه المنظمة وحجز عدد هائل من المعدات الحربية[3]، لتتحول حركة انتصار الحريات الديمقراطية إلى حزب جماهيري واسع ما بين سنتي 1946 و 1949، ونفذت هذه الحركة إلى أقسام واسعة من الشرائح الوسطى وسكان الأرياف[4].

وما أن حلّت سنة 1953 حتى بدأت بوادر الانشقاق تظهر على هذه الحركة، وأدى فيما بعد إلى انقسامها إلى تيارين، تطورا في ما بعد إلى إصلاحيين وثوريين ومصاليين[5].

والحقيقة أن البدايات الأولى للأزمة تعود إلى شهر مارس 1950، في ذلك التاريخ اجتمعت اللجنة المركزية واشتغلت بطريقة منهجية، وكان مصالي الحاج بصفته رئيس الحزب يأمل في تعزيز شخصيته على رأس الحزب مدى الحياة، والحصول على حق النقض، لكن اللجنة المركزية أفشلت محاولته بأغلبية الأصوات، وأدى اكتشاف المنظمة الخاصة إلى تقليص صفوف الحزب، وفي شهر مارس 1951 استقال حسين لحول*، واستمع أعضاء اللجنة المركزية إلى عرض عن نتائج المحادثات بشأن الاتحاد الديمقراطي للبيان، وجمعية العلماء،

---

[1]– بن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص183.

[2]– عبد الوهاب شلالي: المرجع السابق، ص127.

[3]– بن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص ص 214–218.

[4]– محمد حربي: جبهة التحرير الأسطورة والواقع ، ترجمة كميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر، لبنان، 1983، ص76.

[5]– عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر، دار هومه للنشر، الجزائر، 2004، ص310.

* ولد في 17 ديسمبر 1917 بسكيكدة، تعرف في عام 1936 إلى فوج نجم شمال إفريقيا في مدينة الجزائر، تولى مسؤولية قطاع حزب الشعب بمدينة الجزائر، سجن لمدة سنتين، ابتداء من عام 1934، كان القيادي الوحيد الذي عارض في اللجنة المركزية، في عام 1950 أمينا عاما للحزب، انظم في جانفي 1955 للثورة، وقع على عريضة مع بعض الشخصيات تعارض الخيارات السياسية لهواري بومدين وذلك سنة 1976، توفي رحمه الله في 08 أفريل 1995م.

وتم تشكيل الجبهة الجزائرية للدفاع واحترام الحريات العامة، وكانت تتشكل من حركة الانتصار، والاتحاد الديمقراطي للبيان وجمعية العلماء والحزب الشيوعي الجزائري[1].

وما إن جاء شهر جانفي 1954 حتى أعلن مصالي الحاج للمناضلين بواسطة مذكرة إدارية عن تأسيس لجنة الخلاص العام، ودعا لعقد مؤتمر الحزب من 13 إلى 15 جويلية 1954 بمدينة هورنو البلجيكية، وفيه أعلن مصالي عن إقالة اللجنة المركزية[2].

وعقد من جهتهم المركزيون مؤتمرهم من 13 إلى غاية 16 أوت 1954، أسفرت نتائجه عن إسقاط عضوية مصالي الحاج ومزغنة ومرباح من صفوف الحزب، وتقرر مبدأ القيادة الجماعية للحزب، وأصبح المناضلون في الحزب فرقتين متضادتين، وظهر إلى الوجود اتجاه ثالث، أطلق أصحابه على أنفسهم "اللجنة الثورية للوحدة والعمل"*، حاولت أن تعمل على توحيد الصفوف ولكنها فشلت، ومن ثم تطورت في 25 جويلية 1954، ليجتمع 22 عضو من قدماء المنظمة الخاصة[3]، وقاموا عن طريق الاقتراع السري بتعيين محمد بوضياف** ليتولى اختيار القيادة الجماعية، فوقع اختياره على أربعة أشخاص، ليتم اختيار الشخص الخامس في شهر أوت 1954 لقيادة منطقة القبائل.

ومن جهة أخرى فإن اللجنة المنبثقة عن إجتماع الـ 22 قد ضمت إليها لتمثيلها بالخارج ممثلي حركة إنتصار الحريات الديمقراطية بالقاهرة، وهم محمد خيضر، حسين آيت أحمد، أحمد

---

[1]– بن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص ص 272–273.

[2]– نفسه، ص487.

* هي لجنة تسعى لإعادة بناء وحدى الصف داخل حزب حركة الانتصار، تتكون من مجموعة من قدماء المنظمة الخاصة وبعض المركزيين، ظهرت إثر الاجتماع التأسيسي بإحدى أقدم مدارس الحزب "الرشاد" بتاريخ 23 مارس 1954، وتقرر إصدار جريدة تكون لسان حالها تحت عنوان "الوطن" حلّت إثر انعقاد مجموعة 22 لمباشرة التحضير للثورة التحريرية.

[3]– محمد خير الدين: المصدر السابق، ص164.

** ولد بتاريخ 23 جوان 1919 بنواحي المسيلة، لم يواصل تعليمه على الكثير من الجزائريين، واتجه إلى الحياة العملية، انضم إلى حزب الشعب في الأربعينات، أصبح مسؤول ناحية قسنطينة عن المنظمة الخاصة ما بين (1947–1950)، كان من مؤسسي اللجنة الثورية للوحدة والعمل، تولى مهمة التنسيق في مجموعة الستة، سجن من سنة 1956 إلى غاية 1962، رئيس للجمهورية الجزائرية سنة 1992، اغتيل في مدينة عنابة سنة 1992. للمزيد ينظر: (عقيلة ضيف الله: التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962، ط1، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص172).

بن بلة، وأسندت إليهم مهمة الدعاية للثورة في الخارج وتموينها بالسلاح والذخيرة، وكانت اللجنة على إتصال دائم بهم لإطلاعهم على أخر ترتيبات إعلان الثورة.

الفصل الأول:
أحمد توفيق المدني ومساره النضالي

المبحث الأول: تكوين شخصية توفيق المدني

المطلب الأول: المولد والنشأة

المطلب الثاني: التعليم والمغذيات الفكرية لشخصية توفيق المدني

المبحث الثاني: النضال السياسي لتوفيق المدني

المطلب الأول: النضال السياسي لتوفيق المدني في تونس

المطلب الثاني: النضال السياسي لتوفيق المدني في الجزائر (1925-1954)

المطلب الثالث: النضال السياسي لتوفيق المدني من خلال الصحافة والتأليف

يعتبر توفيق المدني من الشخصيات البارزة على المستوى المغاربي، باعتباره عايش الفترة الاستعمارية في كل من تونس والجزائر، الأمر الذي أثر على نشأته وتعليمه ونضاله السياسي، الذي ترجمته أعماله الصحفية ومؤلفاته الكثيرة، مما أهله أن يكون أحد المؤثرين في توجه الثورة، خاصة أنه تقلد عديد المناصب السياسية في تونس والجزائر، وخلال فترة الثورة التحريرية الجزائرية وبعدها، وبالتالي فإن الإحاطة بمختلف هذه الجوانب يفرض تقسيم الفصل إلى مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: تكوين شخصية توفيق المدني

المبحث الثاني: النضال السياسي لتوفيق المدني من خلال الصحافة والتأليف

المبحث الأول: تكوين شخصية توفيق المدني

تشكل البيئة التي نشأ فيها توفيق المدني، عاملا أساسيا في تكوين شخصيته النضالية، التي مزجت بين العمل السياسي والنشاط الصحفي والتأليف، حيث إمتزج الواقع السياسي الذي كانت تشهده البلاد في فترة طفولته مع تعليمه، وشكلا شخصية مثقفة مناضلة متشبعة بروح الوطنية.

المطلب الأول: المولد والنشأة

أحمد توفيق المدني علم من أعلام النضال، الكفاح، السياسة والصحافة في الجزائر، قضى سنوات طويلة في النضال والتضحية[1]، إذ يعدّ من الشخصيات المهمة، ذو البيئة المزدوجة كان له دور بارز وهو يمثل شخصية الإداري المحنك النابغ الذي يستطيع أن يتأقلم مع كل التوجهات، وذلك راجع لنضجه الفكري، ووطنيته المتأججة[2].

كان مولد أحمد توفيق المدني بن محمد بن أحمد المدني[3] القبي الغرناطي بتونس يوم 24 جمادى الثانية 1317هـ الموافق لـ01 نوفمبر 1899م*، وذلك في إحدى الديار العربية التي يرجع عهد بنائها إلى العصر الأخير بنهج الناعورة رقم04، وهو الطريق الذي يفصل بين نهج الباشا ونهج التريبونال وسط أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، إثر فشل ثورة المقراني والحداد سنة 1871**.

---

[1]– مقلاتي عبد الله: قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص468.

[2]– نور الدين أبو لحية: جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط2، 2009، دار الأنوار، 2016، ص28.

[3]– عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني– النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899–1983، ط1، دار المحابر، 2013، ص87.

* بخصوص التاريخ الحقيقي للميلاد، فهناك تضارب في الآراء حول التاريخ الصحيح لولادته، فالأغلبية ترجح أن ميلاده في 1 ديسمبر 1899، ومن بين هؤلاء: د.مسعود كداتي في كتابه شخصيات جزائرية مواقف وآثار ونصوص، وكذا وأن ما ذكره الشيخ أحمد توفيق المدني في مذكراته (حياة كفاح، ج1) من أن سنة الميلاد هي 1889، ولا يعدو أن يكون خطأ مطبعيا وفقا لرأي عبد القادر خليفي ،انظر شهادة ميلاد المدني في الملحق رقم 01

** أما محمد صالح الصديق في كتابه شخصيات فكرية وأدبية، فقد ذكر أن أحمد توفيق المدني ولد في 1889/11/01، ص319.

بهذا تنحدر أصول توفيق المدني في المكان والزمان من عائلات عريقة ومشهورة جزائرية وتونسية وحتى عثمانية وأندلسية، فأسرة المدني بشقيها، وعلى غرار العديد من الظروف التي كانت سيدة الموقف، والتي أقرت على كلا العائلتين (المدني، وبويراز)، إثر فشل ثورة المقراني والشيخ، الحداد، وما عمد على فعله الاستعمار الفرنسي بتشريد كلا العائلتين مما دفعهما إلى الهجرة إلى الأراضي التونسية[1]، ومن باب الصدفة أن التقت عائلة أسرة الشيخ عمر بويراز الجد بعائلة أم أحمد توفيق المدني وجدت التعارف والتقارب بينهما[2]، بهذا يعد المدني متجذر الأصل سليل عائلتين من كرام المجاهدين المهاجرين[3].

أما عن خلفيات تسمية هذا الرجل الثائر بأحمد توفيق، فتعود إلى أحد كبار العاملين في الحقل الإسلامي، الذي كان يتميز بصفاته المغايرة والمحنكة، وهو القائد العام للجيش العثماني بطرابلس فتحي بك، الذي أطلق عليه هذه التسمية أثناء مأدبة أقامها السيد مختار كاهية*، حيث أثنى المدني على السيد "فتحي بك" من خلال ما أورده في مذكراته بحق هذا الرجل قائلا: «**كان قليل الكلام بصفة ملحوظة، يسمع كثيرا ولا يقول شيئا، إلا بعض الكلمات كانت خليطا من التركية ومن العربية**»، وتأكيدا على تسميته بأحمد المدني أورد هذا الأخير قائلا بهذا الشأن: «**والتفت إليّ وسألني في لهجة تكاد تكون صارمة، ما اسمك؟**»[4].

أحيط المدني بعائلة ثورية رافضة للوضع الاستعماري السائد آنذاك من استبداد وطغيان جائر، حتى أنهم كانوا يجتمعون في غرفة خاله محمد بويراز واصفا له «**ويأخذ في الحديث الثائر**

---

[1]– خليفي: المرجع السابق، ص89.

[2]– محمد بوطليبي: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900–1930، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007–2008، ص101.

[3]– احمد توفيق المدني: حياة كفاح ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص34.

* كاهية (علي بن مختار): (1877–1956م) درس في الزيتونة من مؤسسي الحزب الحر الدستوري وفي منزله صيغت المطالب الثمانية للحزب... كان ملازما للثعالبي وصدرت مجلة (الفجر) بامتياز في سنة 1920م، وساهم في تحرير (الاتحاد)، (الفجر)، (النديم)، (الإرادة)، (النهضة)، (العالم)...

[4]– المدني: المصدر السابق، ص69.

المهيج، الهادف، ويعيد في حديثه وهو يكلمنا عن حالة الإسلام والمسلمين، وعن الجمود الذي غل أيدي المسلمين، وعن اعتداء أعداء الإسلام على بلاد الإسلام»[1].

وبخصوص مدرسة خاله محمد فقد تأثر بها توفيق المدني معتبرا إياها المدرسة التي أنارت فكره وأيقظت إحساسه واستفزت عاطفته، وألقت به في ميادين الحياة العامة، يصول فيها ويجول، وقد تتبع تطوراتها بكل اهتمام، مقتنعا بأن إنقاذ الإسلام وإنقاذ الوطن، إنما هو واجب حتمي ملقى على عاتقه، لا يمكن أن يتخلص منه، ما دامت الروح الخالدة تسكن جسمه الفاني حسب تعبيره [2].

بهذا مثل المناخ العائلي الذي احتضنه وهو صغير المدرسة الأولى التي جعلت منه شخصية ثورية، وأنشأته، والمعلم الأول الذي فتح في وجهه أبواب العزة الشريفة[3]، حيث أصبح بسبب كل هذه العوامل المذكورة معدا نفسيا وروحيا وفكريا لخوض المعركة الفكرية والتسلح بالأسلحة العقائدية والتحصن بحصانة الثقافة الإسلامية.

بحلول عام 1915م وأثناء أحداث الحرب العالمية الأولى وما صاحبها من أجواء الحصار والمراقبة، اعتقل الشاب بتهمة التحريض ضد فرنسا ليمكث في سجنه حتى نهاية هذه الحرب، ليطلق سراحه في أواخر عام 1918 ونتيجة لثوريته ونشاطاته السياسية، وكتاباته الصحفية، تم إبعاده إلى الجزائر سنة 1925م، إذ تعتبر السنة الفاصلة في حياة المدني توفيق حيث استقر بمدينة الجزائر العاصمة لدى بنات عمه من عائلة المدني[4]، وفي تلك الأثناء أتم الرجل نصف دينه، فكان زواجه بطريقة تقليدية بقرينته "زكية بنت الزبير بن الأمين"، حيث أثمر

---

[1]– هادية صيود: أحمد توفيق المدني من الوسط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه (حياة كفاح)، مج8، ع1، جامعة منوبة، تونس، 2008، ص144.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص48.

[3]– أميرة بوعزيز: أحمد توفيق المدني ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1925–1954، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قالمة، 2016–2017، ص11.

[4]– عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص94.

هذا الزواج أربعة أبناء: ثلاث بنات وهن "سليمة" و"حسيبة" و"فيروز" وإبنا وحيدا هو محمد إسلام*.

كانت حياته حقا نموذجا للرجل المكافح منذ الشباب المبكر في عهد خصب بالنشاط العلمي والسياسي[1]، إلا أنه حرم من أجواء الحياة العائلية، وكان يتحتم عليه تدبر أموره المادية، والتي تعتمد أساسا على ما يتقاضاه شهريا من جريدة "النجاح" مقابل تحرير المقالات في السياسة وكذا الولوج إلى عالم التجارة[2].

رغم ما أحاط بالمدني من ظروف فقد كان ولد أكبر من سنه مع نضج مبكر ورفض للظلم والطغيان، وحس مرهف سيتضح أكثر وسيتعمق أكثر مع مرور الزمن، وخاصة مع المستعمر الفرنسي[3]، حيث يقول:

«خلقت ثائرا، حيثما تكون الثورة أكون، وتكون ثورة حيثما أكون، فمنذ فتحت عيني على أضواء الحياة، ومنذ شعرت بوجودي بشرا سويا، وجدتني ثائرا على مجتمع مهلهل متخاذل منحل، ثائرا على أخلاق ظاهرها النفاق... ثائرا على دراسة رتيبة عقيمة، لا روح لها، ولا غاية ترجى من ورائها، ما كانت إلا ألعوبة مستعمر مجرم سيء البنية، خبيث طوية، يريد بواسطتها تحقيق مبدأ استعماري فظيع»[4]،

والجدير بالذكر أن الأستاذ توفيق لم يقل هذا الكلام اعتدادا بالنفس ولا تخفيفا من المعاناة التي كان يكابدها في فترة شبابه، وإنما قاله تعبيرا عن إحساسه بالواقع المر الذي يعيشه هو ومجتمعه من أوضاع سيئة.

---

* محمد إسلام هو الابن الذكر الوحيد للمرحوم أحمد توفيق المدني، ولد في 19 فيفري 1930 بالعاصمة، وسط أجواء الاحتفالات المئوية الفرنسية، فأطلق عليه والده "محمد إسلام" تأكيدا لهويته العربية الإسلامية، عرف عن قرب رواد الحركة الإصلاحية، خلال تنقلاته مع أبيه، بعد استرجاع السيادة الوطنية، اشتغل مع والده بوزارة الأوقاف كمدير للإدارة المركزية لمدة عامين، حيث كان مديرا مكلفا بالمساعدة العامة والسكان حاليا متقاعد، يتمتع بصحة جيدة.

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، ص418.

[2]– عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص96.

[3]– هادية صيود: المرجع السابق، ص145.

[4]– أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص21.

وهكذا عاش كل حياته مشبوب العزم، متوقد الحماس، يدرك مسؤوليته، حيث كتب مقالا في جريدة (النجاح) بتاريخ 09 جوان يقول فيه بالخصوص: «**حرا خلقت وحرا أحيا وحرا أوت**»[1].

وفي هذا الصدد الأستاذ توفيق يعي ما يقول، ويدرك مسؤوليته وهو أيضا لا يقوله مفتخرا أو متباهيا، وإنما يقول ما يقول بدافع من وطنيته الصادقة، وشجاعته القوية، ومن الواقع المعاش الذي يدعو كل ما فيه إلى العمل السريع إلى الانتفاضة إلى الثورة إلى التغيير، وهذا لا يتأتى إلا ممن صمم على أن يكون حرا لأنه خلق حرا.

ومن هنا كانت نشأة توفيق من بدايتها إلى نهايتها، محفوفة بالجهاد المستمر، ودوام موصول الفكر في مراحل حياته شبابا، وفتوة وعملا جادا بنّاء، نشأ عربيا خالص العروبة، مسلما راسخ العقيدة والإيمان[2].

المطلب الثاني: التعليم والمغذيات الفكرية لتوفيق المدني

انطلاقا من الوسط الذي نشأ فيه أحمد توفيق المدني والوضعية الميسورة التي كانت عليها عائلته، التي تعد كغيرها من العائلات العربية الإسلامية، تقوم بتوجيه أبنائها منذ نعومة أظافرها إلى التعليم القرآني وتنشئهم تنشئة دينية محافظة[3]، حيث كان منبع المدني ومرجعيته في حفظ القرآن على يد أمه مبكرا في الحفظ التدريجي للقرآن الكريم، والأحكام الملقنة شفهيا[4]، وقد لوالدة المدني دور كبير في تكوين معارفه ، بحيث كانت تجتهد في تعليمه سورا قصارى، وبعض الأحاديث النبوية التي رواها أبو هريرة –رضي الله عنه–، حيث كانت تسمعها من أبيها، فتحفظها بأسانيدها... وكذا أحاديثها عن الفضائل التي يتمتع بها الكرام من الرجال [5].

---

[1]– محمد صالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2002، ص324.

[2]– نفسه، ص325.

[3]– عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة ، 2007، ص55.

[4]– جيلالي صاري: المرجع السابق، ص279.

[5]– المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص ص 39–40.

فوالدته عائشة كانت بمثابة مدرسته الأولى، وكانت السباقة في تغذية فكره، على إثر ذلك بدأت حياة المدني الصبي بكتّاب من كتاتيب العاصمة تونس[1]، حين بلغ الخامسة من عمره أدخله والده الكتّاب (المدرسة القرآنية)[2] لتعلم القرآن؛ حيث أورد المدني بهذا الشأن قائلا: «كنت أكبر من سني بأعوام عديدة، وذهب بي الوالد يوما إلى الكتّاب، وقد بلغت الخامسة فهش له المؤدب وبش، وقام له تحية إجلال وتقدير... والصبيان ينظرون مندهشين... أما أنا فقد تركز نظري على ما لست أنساه، مجموعة كبيرة من العصي مخصصة للتأديب»[3].

ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية الأهلية التي قام بتأسيسها جماعة من الفضلاء التونسيين، والتي كانت يومئذ تحت إدارة "محمد صقر" في سن العاشرة سنة 1909، حيث تلقى فيها مبادئ اللغة الفرنسية، والعلوم الدينية والنحو والصرف والبلاغة، والرياضيات والكيمياء وعلوم الطبيعة، وتفسير القرآن الكريم[4]. فكان مجتهدا قلّ ما يستحثه أبواه على الجد في الدراسة[5]، حيث أنهى المدني دراسته بالمدرسة القرآنية الأهلية بعد أن خرج متشبعا بالعلوم التي كان يتلقاها، حيث قال في هذا الصدد: «**وقد أنهيت دراستي بالمدرسة القرآنية، وخرجت ملء الوطاب بتلك العلوم التي كان يبثها فينا أساتذة أجلة، هم خير الأساتذة**»، كان خطيبا بهذه الأخيرة وكاتبها المبرز، فكان يلقي على زملائه وأساتذته مواضيع حول حالة الوطن والمسلمين وعن واجباتهم نحو الدين والوطن، اليوم وغدا[6].

وفي سنة 1913م دخل إلى جامع الزيتونة كطالب حر، فدرس على يد الشيوخ: النخلي، ومحمد بن شعبان ومعاوية التميمي[7]، كما ورد عن لسانه: «**ودخلت الجامع الأعظم، جامع**

---

[1]– بسام العسلي: المرجع السابق، ص169.

[2]– محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص319.

[3]– المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص40.

[4]– مسعود كواتي: المرجع السابق، ص222.

[5]– محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص319.

[6]– المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص94.

[7]– بوعلام بلقاسمي: موسوعة أعلام الجزائر 1954–1962، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007، ص131.

الزيتونة... فقد اخترت لنفسي منهاج دراسة خاص بي، لا أتقيد بصنف، ولا أشارك في امتحان، كنت أطلب العلم لأجل العلم لا لأجل المنصب، فاخترت لنفسي دروسا على جلة الأساتذة، كالشيخ النخلي في التفسير والشيخ محمد بن يوسف في البلاغة، والشيخ الصادق النيفر في الفقه، والشيخ ابن القاضي في النحو والصرف، وكنت ألازم الدروس عشر ساعات كل يوم دون انقطاع، لكن لم يكن هذا كافيا بالنسبة لحبي للقراءة والمطالعة»[1].

ونظرا لتشبع المدني وتعلقه الشديد بالمطالعة، أضفى ذلك على قدراته حيث أظهر خلال ذلك قدرة خطابية مثيرة، وكفاءة عالية في الكتابة دفعته إلى تحرير عدد من المقالات الوطنية والاجتماعية والسياسية نشرها في صحيفة (الفاروق) التونسية، التي كانت تصدر أسبوعيا، وكان ذلك في سنة 1914، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى كوّن خلية من رفاقه للتحريض على الثورة ضد فرنسا[2]، فاعتقلته السلطات الفرنسية وعمره لا يتجاوز الخمس عشرة سنة، وهذا بتهمة توزيع المناشير المناهضة لفرنسا وزجت به في السجن دون محاكمة.

بقي المدني رهين السجن قرابة أربع سنوات من يوم 14 فيفري 1915م إلى أول نوفمبر 1918م، ولما فتش بيته عثر فيه على مراسلات بينه وبين السيد الحسين الجزائري صاحب جريدة النديم، وكذا الشيخ عمر بن قدور الجزائري (صاحب جريدة الفاروق) والمعلوم أن المدني قد كتب عدة موضوعات نقدية في جريدة الفاروق وقام بإلصاق منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد بتونس[3]، وقد استفاد من فترة السجن لمتابعة تعليمه الديني، ودراسة اللغة الفرنسية، حتى أتقنها، فاكتسب تجربة كبيرة.

وبعد إطلاق سراحه من السجن سنة 1918، كان إنسانا جديدا قد صلب عوده، وتكونت شخصيته، واتسع أفقه رغم حداثة سنه[4]، رجع من جديد إلى جامع الزيتونة لإتمام دراسته[5]،

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص95.

[2]– بسام العسلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت، ص169.

[3]– خير الدين شترة: الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة 1900–1956، ج1، ط2، دار كردادة، الجزائر، 2013، ص98.

[4]– بسام العسلي: المرجع السابق، ص 169.

[5]– محمد بن رمضان شاوش وآخرون: إرشاد حائر إلى آثار أدباء الجزائر، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2011، ص518.

ومتابعة دروسه وتفرغ تماما للحياة النضالية، انخرط في حزب الدستور التونسي وقام بعمل مكثف، وبسرعة صار الكاتب العام المساعد سنة 1920، ثم عضوا في المجلس التنفيذي سنة 1924[1].

في هذا الصدد نؤكد على مزايا ومنافع التثقيف الذي انتفع به المدني حتى في الظروف الاستثنائية، حيث حدد لنفسه أهدافا بعينها ساهمت في تكوينه تكوينا عصاميا خصوصا في التاريخ، جعل منه شخصية فذة، منذ الصبا، في تكوين نفسه معتمدا على وسائله وطاقاته الخاصة[2].

[1]– جيلالي صاري: المرجع السابق، ص283.

[2]– نفسه، ص ص 280–281.

المبحث الثاني: النضال السياسي لتوفيق المدني

تدرج النشاط السياسي لتوفيق المدني، حيث تأثر بالتطورات السياسية التي شهدتها دول المغرب العربي، فكانت بدايته في تونس ثم الجزائر، وتنوع بين الصحافة والتأليف، والنشاطات السياسية التي جعلته يشكل خطرا على السلطات الاستعمارية، مما عرضه للسجن والنفي.

المطلب الأول: النضال السياسي لتوفيق المدني في تونس

بعد مرحلة الطفولة، تأتي أولى المشاركات السياسية لأحمد توفيق المدني بتونس في حادثة الزلاج* بحيث كانت هذه الحادثة مكيدة استعمارية كما وصفها المدني والذي أراد من ورائها القضاء على الحركة الوطنية، والتخلص من النخبة التونسية التي أخذت تظهر للوجود، ويصف المدني نشاطه ، وحسب قوله فقد كان من بين الذين يطوفون على الأسواق والمقاهي ينادي بأعلى صوته مرددا [نموت ولا نسلم زلاجنا]، حيث كان مجال عمله طوال أيام الأحداث بين الأسواق بتونس وبطحاء الحلفاوين [1].

وإثر البدايات الأولى لنضاله السياسي، تعرض توفيق المدني إلى الاعتقال والسجن وذلك بتاريخ 26 فيفري 1915، وتمثل هذا النشاط في توزيعه لمناشير مناهضة لفرنسا، ولم يطلق سراحه إلا في أول نوفمبر 1918[2]، وبعد خروجه من السجن شارك في تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي عام 1920، الذي تزعمه عبد العزيز الثعالبي، وذلك بعد اجتماعات متعددة، واتصالات متكررة، وقد أقسم المؤسسون يمين الإخلاص للحزب وانتخبوا هيأة لإدارته أطلق عليها اسم اللجنة التنفيذية[3].

---

* الزلاج مقبرة إسلامية تقع في المدخل الجنوبي للعاصمة التونسية، ويرجع سبب الحادثة إلى أن بلدية العاصمة عندما قررت تسجيل المقبرة الإسلامية في المحكمة العقارية المختلطة يوم 1911/09/26، فثارت ثائرة التونسيين مخافة تجنيس العقار بالجنسية الفرنسية، وأدى تعسف أعوان الإدارة الفرنسية إصدار قرارات بالاعتقال والإعدام إثر موجة اضطرابات أسفرت عن مقتل عدد من التونسيين والأجانب.

[1]– خير الدين شترة: الطلبة الجزائريين...، المرجع السابق، ص94.

[2]– خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900–1939، ط2، دار كردادة، الجزائر، المرجع السابق، ص98.

[3]– عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني ـ النضال ... ، المرجع السابق، ص89.

وعن بداية نشاط المدني بالحزب الدستوري، يذكر أنها تعود إلى شهر ماي 1920، عندما عرض عليه الشيخ المستيري فكرة الانضمام إلى الحزب، وعضوية لجنته التنفيذية العليا بصفته كاتبا له إلى غاية حصول التنظيم على مقر، وانتخاب لجنته التنفيذية الثانية لمباشرة المهام بصفة علنية[1].

ويذكر المدني أنه كان يشغل منصب أمين عام مساعد يتولى القلم العربي باللجنة التنفيذية منذ أول جلسة تأسيسية للوطنيين في 29 ماي 1921، وكانت اللجنة التنفيذية تضم بعض الجزائريين*، وذلك يرجع إلى الأصول الجزائرية للشيخ عبد العزيز الثعالبي**، وبفضل نشاط وحيوية المدني، شارك ضمن الوفد الثالث الدستوري الذي ذهب إلى فرنسا في 29 نوفمبر 1924، من أجل المساهمة في حل القضية الوطنية التونسية[2].

ومن أهم مساهمات المدني، مبادرته بإنشاء جمعية الخلافة التي حاول فصلها ظاهريا عن الحزب الدستوري، وأصبحت اجتماعات لجنة الخلافة تقام كلها بمنزله بنهج الديوان، وكان الهدف من ذلك اغتنام فرصة حماس الجماهير من أجل تحريك الساحة السياسية الراكدة، وكانت هذه اللجنة تعمل في استقلالية نسبية عن الحزب[3] والتي ضمت جماعة من ذوي الرأي بلغ عددهم عشرة رجال***، ويرى أحمد توفيق المدني بأن هناك إمكانية لإنشاء خلافة مجردة عن السلطة المدنية، تسمح للخليفة بمباشرة سلطانه الديني الروحي في كامل بلاد الإسلام، دون

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص ص 175–177.

* ونذكر منهم: صالح بن يحي، محمد زروق، محمد الصالح خناش، التيجاني بن سالم، الطيب بن عيسى، قاسم الجزائري، عبد السلام القلي، حسن قلاتي، محمد بن حسين، محمد الهنتاتي، للمزيد ينظر: خير الدين شترة: إسهامات النخبة...، المرجع السابق، ص103.

** (1874–1946) من أصل جزائري، ولد بتونس العاصمة، زيتوني الثقافة، شارك في تأسيس وتحرير العديد من الصحف ذات الاتجاه الديني والسياسي، منها "سبيل الرشاد" (1895)، و"الاتحاد الإسلامي" "1909"، مثل تونس في مؤتمر الصلح 1919، ترأس الحزب الدستوري التونسي ليتم نفيه إلى المشرق العربي سنة 1923 ولا يعود إلى تونس إلا سنة 1937.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص228.

[3]– خير الدين شترة: إسهامات النخبة...، المرجع السابق، ص106.

*** بالإضافة إلى المدني نجد كل من محي الدين القليبي، عثمان الكعاك، محمد محلي، الحبيب مزيو...

أدنى تدخل من الدولة التركية، فيكون قصر الخلافة عبارة عن "فاتيكان" إسلامي [1]، ولما ألغيت الخلافة في مارس 1924 صعق المسلمون لذلك وأنكروه، وقد سجل المدني موقف اللجنة من مسألة إلغاء الخلافة، مما كان له الأثر الإيجابي في الرأي العام التونسي[2]، ونظرا للنضال السياسي للمدني، الذي يهدد الاستعمار الفرنسي، ثم إبعاد توفيق المدني من تونس إلى بلده الأصلي الجزائر يوم 05 جويلية 1925[3].

المطلب الثاني: النضال السياسي لتوفيق المدني في الجزائر(1925-1954)

ويتمثل في ما يلي:

أولا: مساهمته في تأسيس جمعية العلماء المسلمين:

منذ وصول أحمد توفيق المدني إلى الجزائر في بداية سنة 1925، حتى ذهابه إلى القاهرة في بداية 1956، لم يتخل فيها عن النضال المتعدد الأشكال[4]، وفي هذا المقام يقول المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي: «**عندما ضاق صدر حكومة الاستعمار الفرنسي في تونس بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني، هنالك فكرت وقدرت ثم فكرت وصممت على أخذ مسلك الإبعاد من تونس إلى الجزائر، ولم يدري أن موطن آبائه وأجداده ينتظره، فحل به مكرما ومعظما سنة 1925** »[5] .

عرفت السنة التي أبعد فيها المدني من تونس إلى الجزائر بداية الدعاية لمشروع جمعية دينية، وقد هب العلماء منذ سنة 1925 في التعريف بمبادئ برنامجهم الديني والاجتماعي والثقافي، وخلال شهر نوفمبر نشرت جريدة الشهاب نداء دعت فيه كافة العلماء من القطر الجزائري للاتصال ببعضهم من أجل معرفة مختلف الآراء بهدف تأسيس هذا الحزب الديني[6].

---

[1]- المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص324.

[2]- خير الدين شترة: الطلبة الجزائريين...، المرجع السابق، ص107.

[3]- مريم سيد علي مبارك: المرجع السابق، ص71.

[4]- جيلالي صاري: المرجع السابق، ص283.

[5]- عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني...، المرجع السابق، ص84.

[6]- الوناس الحواس: نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1954، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص171.

يذكر توفيق المدني في الجزء الثاني من كتاب حياة كفاح: «وجاء دور التفكير في إنشاء مثل هذه الحركة وإخراجها من طور الفكر إلى طور التنفيذ...»[1]، وفي رواية للشيخ محمد خير الدين، يذكر فيها أنه كان مع الشيخ مبارك الميلي في مكتب ابن باديس بقسنطينة، عندما دعا محمد عبابسة وطلب منه أن يقوم بالدعوة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العاصمة، وأمره أن يختار جماعة من المساعدين له يشترط أن لا يثيروا شكوك الحكومة الفرنسية أو مخاوف الطرفين، فانطلق محمد عبابسة وقام باختيار اللجنة التي ضمت عمر إسماعيل، محمد الدلسي، الشيخ العاصمي وأحمد توفيق المدني بالإضافة إلى محمد خير الدين*، وبعدها حرر نداء إلى العلماء ونشره في الشهاب[2].

قام أحمد توفيق المدني بإرسال 120 دعوة بخط يده إلى علماء القطر الجزائري بغية عقد اجتماع في العاصمة لتأسيس الجمعية، وقد لبى الدعوة نحو 50 عالما، وأعلن عن ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931، وانتخب ابن باديس غيابيا رئيسا لها والإبراهيمي نائبا له[3]، وحسب المدني أنه هو من وضع القانون الأساسي للجمعية، وهو أمر يختلف فيه الكثير.

أما بالنسبة لهدف الجمعية فيقول المدني فيتمثل في بث روح الإيمان الخالص والوطنية الحقة والأخلاق الفاضلة والرجولة الكاملة في البداية، ثم تجانس هدفها مع مراعاة الاستقلال فكان هدفها الأساسي هو التحرير الكامل للقطر الجزائري عن طريق الثورة العارمة [4].

---

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ج2، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 256.

* ولد سنة 1902 ببسكرة، تعلم بها، ثم انتقل إلى قسنطينة سنة 1916 ليكمل تعليمه، التحق بالزيتونة عام 1918، تحصل على شهادة التطويع سنة 1925، ليرجع إلى بسكرة ويباشر التعليم والوعظ، عين سنة 1932 مستشارا في جمعية العلماء، ثم نائب رئيس جمعية العلماء إلى جانب الشيخ العربي التبسي في الفترة (1952–1956)، ممثلا للثورة في المغرب منذ سنة 1956، عضوا في المجلس الوطني للثورة سنة 1958، توفي سنة 1993.

[2]– محمد خير الدين: مذكرات محمد خير الدين، ج1، المصدر السابق، ص 165.

[3]– المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص176.

[4]– نفسه، ص186.

ثانيا: مشاركته في إصدار بيان الشعب الجزائري 10 فيفري 1943:

يعتبر تاريخ 08 نوفمبر 1942، تاريخ دخول الجزائر مرحلة جديدة من تطورها السياسي، سيطر فيها الحلفاء من جهة، ولجنة فرنسا الحرة من جهة ثانية، ومن الجانب الوطني حاول فرحات عباس وجماعة النخبة والنواب الذين كانوا يتحركون بشيء من الحرية رغم ظروف الحرب، بمحاولة اتباع سياسة ملء الفراغ، عكس أعضاء حزب الشعب وجمعية العلماء فقد كانوا مقيدين أو مبعدين عن المسرح السياسي[1].

يعد المدني من السباقين لاغتنام أي فرصة تتاح له، لذلك فإنه لم يتوان من تسجيل حضوره في الإعداد للبيان الجزائري الذي دعا إليه فرحات عباس، وحسب المدني فإن الاجتماع حضرته حوالي 50 شخصية، من ألمع رجال المجتمع الجزائري، ومن أهم المطالب التي رأى المدني أنها تمثل رغائب الشعب الجزائري التي كانت محور البيان[2]:

- إنشاء مجلس تأسيس لتحرير دستور لدولة الجزائر.
- تكوين حكومة جزائرية مستقلة معترف بها، تشارك مع فرنسا والحلفاء في الحرب.
- إلغاء تبعية الجزائر لفرنسا، وإبرام معاهدة لتنظيم العلاقات بينهما.
- إنشاء النقد الجزائري الخاص بالدولة الجزائرية على قاعدة الدينار يساوي 1000 فرنك.

وهكذا جرى تكليف فرحات عباس بتحرير نص البيان، الذي وقع بتاريخ 10 فيفري 1943[3]، وتعتبر مشاركة توفيق المدني في إصدار بيان الشعب الجزائري مشاركة فعالة، عبر من خلالها إلى جانب زملائه عن آمال الجزائريين[4].

ثالثا: مشاركته في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها:

بعد عملية التزوير التي شهدتها الانتخابات في عهد نايجلان، ونظرا لعدة اعتبارات حاولت مختلف التشكيلات الوطنية أن تتكتل فيما بينها لمواجهة السياسة الاستعمارية، فكان

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج3، المرجع السابق، ص190.

[2]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص367.

[3]– فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها–ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص140.

[4]– خليفي: أحمد توفيق المدني...، المرجع السابق، ص135.

ظهور «الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها» يوم 05 أوت 1951، حيث ضمت لجنتها السياسية التي كان مقرها الجزائر العاصمة، ممثلين عن العلماء، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والحزب الشيوعي الجزائري، وشخصيات مستقلة[1]، ووقع الاتفاق على خمسة مطالب رئيسية*.

إثر ذلك تم تكوين مكتب دائم يتشكل من عشرة أعضاء هم: العربي التبسي، محمد خير الدين، أحمد مزغنه، عبد الرحمن كيوان، أحمد بومنجل، قدور ساطور، أحمد توفيق المدني، السيد كابيرو، كوش يونس، الأستاذ ماندوز (غيابيا).

الحقيقة أن مشاركة الأستاذ توفيق المدني، تدخل في إطار نضاله المستمر، وعمله الدؤوب الهادف إلى جمع كلمة الجزائريين وتوحيد صفوفهم، وتوجيه جهودهم لمواجهة المستعمر، فخلال خطاب ألقاه مترجمنا بتاريخ 19 أوت 1951 بالملعب البلدي بحسين داي قال: «**إن السبب الأصلي في نجاح النظم الاستعمارية هو الخلاف، وإن دواءنا هو الاتحاد...**»[2]، كما كان الأستاذ توفيق المدني من ضمن موقعي بيان التنديد والمساندة الذي أصدرته جمعية العلماء في شهر نوفمبر 1951 إثر حوادث الدار البيضاء المغربية، حيث أدان الاستعمار[3]. ولكن لم يكتب لهذه الجبهة أن تستمر نظرا لاختلاف الآراء حول مستقبل الجزائر.

المطلب الثالث: النضال السياسي لتوفيق المدني من خلال الصحافة والتأليف

كان الاستعمار الفرنسي الذي تعرضت له الجزائر على امتداد قرن وربع قرن، أفظع تدمير أصاب كيانها، حيث عمل بكل قواه على تخريب كل من عالم الأشخاص وعالم

---

[1]– خليفي: أحمد توفيق المدني...، المرجع السابق ، ص137

* من هذه المطالب: إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت في 17 جوان 1951، واحترام حرية الانتخابات في القسم الثاني، احترام الحريات الأساسية، محاربة القمع لجميع أنواعه، وتحرير المعتقلين السياسيين وإبطال التدابير الاستثنائية الواقعة على مصالي الحاج، و إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية.

[2]– خليفي: أحمد توفيق المدني...، المرجع السابق، ص139.

[3]– جريدة البصائر: بيان من الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، العدد 174، الجزائر، 19 نوفمبر 1951، ص08.

الأفكار، هذه العوالم التي تشكل مجتمعة ذاتية الأمة ووجودها ومعتقد بقائها، لم يكن يمارس بطشه وتنكيله بالشعب ومؤسساته وممتلكاته فحسب، بل آزره ودعمه تخطيط الساسة، ومكر رجال من المستشرقين المتخصصين في عمليات ومؤامرات الصراع الفكري، وعلى هذا الأساس من الخطأ أن نجسد استعمار في هيئة معينة، أو جهة محددة لأن حقيقته وأفعاله وآثارها تشبه الوحش ذو الرؤوس والأيدي المتعددة، يتواجد في كل مكان يشع منه الإجرام، وهو في كل مكان يغتال بلا خوف ودون تأنيب [1].

يحرص المستعمر زيادة على هذا على بقاء الأمة في وحل تخلفها الشامل تغط في نوم عميق، لئلا تستفيق، فتدركه وتحارب ظلمه وظلامه، ويبعد عنها كل ساع من أبنائها الإصلاحيين المجاهدين، ويخمد أنفاسهم حتى لا يوقظها من سباتها، ويبعثها للحياة وهذا ما يقلق الاستعمار الذي لا يكف عن «خلط الطاهر بالدنس، مدفوعا بتلك الفكرة الدنسة، التي تملي عليه، أو يوقف سير الشعوب نحو النور، حفاظا على مصالحه المادية»[2].

إن إستراتيجية الاستعمار في ممارساته لعمليات الصراع الفكري، ضد كل حركة فردية أو جماعية، تسعى لمقاومته عسكريا أو سياسيا أو فكريا تقوم –في حالة التطبيق– على أساسين: أولا أن يضرب الاستعمار كل قوة مناهضة له تحت أي راية، وثانيا أن يحول في كل الظروف بينها وبين أن تتجمع تحت راية أكثر فعالية، فبذلك يصرف أنظار المجتمع عن تلك الأفكار وحامليها، فنجده في سياسة صراعه ومحاربته لصفوة الأمة، ورموزها من الثوار والسياسيين والعلماء والمفكرين، يعمل بكل ما أمكن من أجل محاصرة وتمييع أفكارهم، ويقضي بذلك على صفوة الناس عن أماكن القيادة، لأنهم هم الذين يمثلون أسمى فضائل شعبهم .

كانت الإدارة الاستعمارية ترى أن الحركة الإصلاحية حظرا على مصلحتها وأنها بداية للثورة الفكرية، خصوصا وقد بنت أسسها على مقومات الشخصية الجزائرية من قومية ودين

[1]– عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913–1940)، ط1، دار الشهاب، بيروت، لبنان، 1999، ص207.

[2]– نفسه، ص208.

ولغة وتاريخ وأخلاق، وأعلنت التمسك بها واعتمدت على التعليم والنهوض الشامل بالأمة التي كانت من أغراض الإدارة الاستعمارية دمجها وإذابة شخصيتها[1].

بهذا لم تجرؤ أي دولة استعمارية أن تبلغ من الأعمال التي تندرج في مسميات العنصرية والاسترقاق، ما بلغته فرنسا، لقد كانت ترمي إلى طمس شخصية الجزائري وأن تمحو من ذاكرته أن له وطنا وأن له ثقافة وأن له تاريخا[2]، وما زاد في علتها اقتناع الرأي العام الأجنبي، وحتى بعض الأشقاء بأن الجزائر لا تشكل جزء من العالم العربي أو الإسلامي، وإنما هي قطعة فرنسية حسبما أشاعت فرنسا، فبالرغم من كل ذلك فإنها لم تنفك على اتصال بإخوانها في العالمين العربي والإسلامي، وبوسائلها الخاصة متخطية كل العقبات والحواجز[3].

حيث شهدت الجزائر صراعا فكريا حادا بين الفرنسيين وأنصارهم من مختلف التيارات الفكرية الجزائرية المثقفين الذين كانوا يؤيدون الإدماج، وبين الإصلاحيين وأنصارهم من الوطنيين الذين كانوا مع معركة ضد السياسة الفرنسية بجميع أبعادها[4]، وإماطة اللثام على الواقع السائد في الجزائر من خلال إثارة المسائل الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية[5].

أولا: نشاطه الصحفي

اعتكف المدني على الصحافة وأظهر اهتمامه بها منذ الصغر حيث أكد في هذا السياق بقوله: « وأنا أجتاز السنة التاسعة وكنت أقرأ الصحف التونسية إجمالا، وتفتق ذهني عن السياسة العامة وأساليبها... وأخذت أجادل من حولي من تلاميذ الكتّاب، ولم يكن أحد منهم

---

[1]– عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق، ص ص 209–210.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، ط1، دار البصائر، 2008، ص06.

[3]– عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920–1936، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص55.

[4]– عواطف عبد الرحمن: الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954–1962، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص39.

[5]– رابح لونيسي: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920–1954)، ط1، كوكب العلوم، 2009، ص4.

يطلع على جريدة أو يتكلم في السياسة كلمة، فكنت مناضلا صبيا، يلتفون حولي ساعة فراغ من الحفظ والتكرار»[1].

ومن بين الصحف التي كان يطالعها في هذه الفترة مجلة "العروة الوثقى"* التي كان يصدرها بباريس "جمال الدين الأفغاني"** و"محمد عبده"***، وأنصارها، إضافة إلى "المؤيد" و"اللواء"، و"لسان الحزب المصري"، وعلى مستوى المدرسة القرآنية الأهلية، فقد كان إلى جانب الاهتمام بالدراسة يقوم برفقة زملائه بتبادل الصحف الإسلامية، ومن بين الصحف التي كانوا يتداولونها "الرشدية" و"المرشد" و"التقدم" و"المنير" ثم "التونسي" و"الاتحاد الإسلامي"، إلى جانب ما كان يقتنيه من صحف ومجلات مصر واسطنبول[2].

واصل المدني مشواره النضالي، وتعمق أكثر في المجال الصحفي الذي برع فيه فقد كان يترك الأثر العميق في نفوس التونسيين وأيضا لدى المستعمر[3]، ولعل أهم العوامل التي ساعدت المدني على الكتابة الصحفية وعمره 16 سنة، تعرّفه على حسين الجزائري الذي كان يكتب مقالاته في جريدة "الفاروق"؛ إذ قدم هذا الأخير يد المساعدة لأحمد توفيق المدني بعد التأكد من قدراته وتجاربه[4].

---

[1]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ج1، المصدر السابق، ص41.

* أسسها جمال الدين الأفغاني، و ترأس تحريرها محمد عبده، صدر عددها الأول بتاريخ 13 مارس 1884 في باريس، بلغت جملة أعدادها 18، اعتبرت أو شرارة لإلهاب الشعور بالكراهية للحكم الأجنبي، للمزيد ينظر: (عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص103).

** (1838–1879) أحد الأعلام البارزين، حيث كان محورا للعالم الإسلامي في قرن التاسع عشر، من بين الدعاة إلى العلم والاتحاد والشورى، عمل على توجيه الأفكار وتحرير العقول حيث أثر بشخصيته القوية في الكثير من الشباب في العالم الإسلامي، حيث انبثقت عن حركته الإصلاحية حركات سياسية ذات النزعة الوطنية، للمزيد ينظر: (قلعجي: ثلاث من أعلام الحرية: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، سعد زغلول، ط1، دار الكاتب العربي، بيروت، دت، ص ص 10–11.

*** ولد بقرية في مديرية البحيرة في مصر، تلقى تعليمه الأكاديمي في طنطا طالبا للعلم ثم اتجه إلى القاهرة، اشتغل بالتدريس والصحافة والسياسة، ساهم في عصرنة العلوم ورفع مستوى الإفتاء، عرف بمؤلفات عديدة نذكر منها: تفسير القرآن العظيم، العلم والمدنية في الإسلام والنصرانية، ومقالات في الاجتماع والأخلاق، للمزيد ينظر: (أسعد لهلالي: المرجع السابق، ص22).

[2]– المدني: حياة كفاح ج1، المصدر السابق، ص ص 48–54.

[3]– هادية صيود: المرجع السابق، ص147.

[4]– بوطيبي محمد: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية، دط، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص ص 171–172.

والمعلوم أن توفيق المدني كتب عدة موضوعات نقدية في جريدة الفاروق بوساطة من الحسين الجزيري، وقام بإلصاق منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد الكبير بتونس وأناشيد الشاذلي خزندار[1].

وانطلقت رحلته الصحفية من أول مقال له، حمل عنوان "**الإدمان أول وزراء الموت**" بجريدة الفاروق الجزائرية التي كان يصدرها "عمر بن قدور"*، وقد وصف إحساسه عند نشرها بقوله: «وهكذا ابتدأت حياتي الصحفية المبكرة... ولا أنسى ما اعتراني من نشوة، وما وجدته في نفسي من اعتزاز عندما جاءنا الفاروق (نوفمبر 1914م) بعد مدة طويلة يحمل بين طياته ذلك المقال، وكنت أنظر إلى اسمي مطبوعا تحت مقالي بشيء من الخيلاء والعجب كأنني ملكت الدنيا وما فيها»[2].

موضوع المقال يتحدث بأسلوب تهكمي وصفي عن أضرار الخمر ومدى تأثيرها على الأحاسيس، وعقول البشر ودورها في ارتكاب الجرائم وتأثيراتها الاجتماعية والبشرية، وتدميرها للحضارات السابقة، منها حضارة الهنود الحمر في أمريكا، إضافة إلى كونها سببا في موت الكثير من الناس، وخلاصة المقال أن الإدمان هو الذي نال جائزة الملكة الذي تمادى في المعاصي وأصبح عاملا أساسيا في الموت[3].

ثم تتبعه بمقال ثان بتاريخ 04 ديسمبر 1914م تحت عنوان: دعوة إلى الواجب أو المرأة التونسية والتعليم؛ حيث ابتدأ المقال بالحديث عن المرأة التونسية، كما أورد المدني «إنها كغيرها

---

[1]– خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900–1939، المرجع السابق، ص98.

* (1886–1932) ولد بمدينة الجزائر، تعلم بالكتّاب ثم بالمدرسة الثعالبية عرف باتجاهه الإصلاحي ونشاطه الصحفي، أنشأ جريدة الفاروق ونفته السلطات الاستعمارية إلى الأغواط، أطلق سراحه سنة 1918، بعدها عاد إلى نشاطه الصحفي من خلال جريدة الصديق، لكنه لم يلبث أن اعتزل ودخل في عزلة صوفية من ممؤلفاته: "الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة"، للمزيد ينظر: (أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص279.

[2]– أحمد توفيق المدني: ج1، المصدر السابق، ص ص 104–105.

[3]– بوطيبي محمد: المرجع السابق، ص172.

من نساء العالم، إذا ما وجدت علما صحيحا، وتربية إسلامية بحته يكون لها دور مهم في الحياة الاجتماعية»[1].

تبعا لذلك حاول معالجة ظاهرة اجتماعية في تونس متعلقة بالوطنية عند البنات والبنين وإنشاء أسرة تونسية مبنية على أساس العلم والإخلاص، وفتح باب التعليم في الإطار الشرعي، غير أن توفيق المدني لاحظ النتائج في مهدها مخيبة الأمل لأن البنات لم يصلن إلى الهدف المرسوم، وأصبح همهن تعلّم اللغة الأجنبية والغناء وضرب البيانو وحفظ بعض السور القرآنية الصغيرة، كما تطرق إلى حرية النساء والتمدن التي غرست في البنات بسبب غفلة أوليائهن وصرن يمشين على نمط غربي[2].

إلا أن المقال الذي أحدث الأثر المطلوب في نفوس التونسيين هو مقال "لجج الهواجس" الصادر في 18 ديسمبر 1914م؛ حيث أوقد في الأوساط التونسية شعلة رجاء وأمل في أن يعيد في تونس ما فقدته من ثقة[3]، في حين صدر مقاله الرابع "كيف ننقذ وطننا" في 27 ديسمبر 1914 والذي يبحث فيه عن الأسباب التي دهورت الوطن إلى مهاوي الهلاك، والوسائل التي يلزمنا اتخاذها لإنقاذه من ربقة الجهل وأسر الفساد[4].

بسبب وقع مقالاته المتصفة بالحماسة الملتهبة، تعرضت البعض من الجرائد إلى الغلق والتعطيل لعملها، إضافة إلى الرقابة العامة والإجراءات القمعية خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918).

إن المسار الصحفي الذي اختاره المدني، كان يهدف إلى نهضة الأمة على إثر ذلك التحق بركب الصحافة التونسية التي استأنفت نشاطها بعد رفع الحظر عنها في الفاتح من نوفمبر 1920م، وهكذا عادت صحف مثل "المشير" و"الصواب"، وعددا كبيرا من الصحف الجديدة والمجلات الراقية "كالفجر" و"البدر" و"المجلة الصادقية" إلى جانب صحف "الوزير"

[1]- المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص114.

[2]- بوطيبي محمد: المرجع السابق، ص172.

[3]- هادية صيود: المرجع السابق، ص147.

[4]- المدني: حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص117.

"النديم" "والأمة" و"العصر الجديد" و"الاتحاد" و"الإرادة" و"إفريقيا"، وغيرها من الصحف التي نشر بها المدني إنتاجه المتعدد الأنماط إلى صدر هذه الأمة[1]، وبعد الحرب العالمية الأولى وتكوين الحزب الحر الدستوري، كانت أولى مبادراته بتعريب مقال بالفرنسية، أصدرته المجلة البرلمانية الفرنسية والمقتبس من كتاب "تونس الشهيدة" للشيخ عبد العزيز الثعالبي، وتولى الشيخ الطيب بن عيسى نشر هذا المقال في جريدة "المشيد"*.

بسبب ذلك أقدمت السلطات الفرنسية على تعطيلها بموجب قرار 22 مارس 1920م، فانخرط في الحزب الدستوري وأشرف على تحرير الشؤون الإدارية لمجلة "الفجر" التي أَدارها الحزب عام 1920م، وظلت تصدر إلى غاية 1921م[2]، التي كان ظاهرها مجلة علمية أدبية، فكرية، وأما باطنها فكان الوسيلة الشرعية الوحيدة يومئذ لجمع المال للحزب الدستوري الناشئ بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وأصبح بذلك سكرتير القلم العربي للحزب، والمشرف على الأعمال الداخلية فيه، وأسند إليه الحزب مهمة تحرير فصول السياسة الخارجية في الصحف الدستورية الأسبوعية، فكان يمضي مقالاته باسم "المنصور"[3].

وفي عام 1925م نشر مقالة في جريدة "إفريقيا الفتاة" يؤيد فيه ثورة الريف في المغرب الأقصى بقيادة عبد الكريم الخطابي، فكان ذلك المقال ذريعة للحد من نشاطه وطرده إلى الجزائر يوم 05 جوان 1925[4]، ولأن حظي بمعزة في نفوس أبناء الشعب التونسي فقد قوبل إبعاده من طرف الجماهير باضطرابات ومظاهرات، تضامنا معه واستياء على ما وقع له[5].

---

[1]– عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري، المرجع السابق، ص106.

* جريدة عربية تونسية تأسست في 10 محرم 1329هـ الموافق لـ 10 جانفي 1911م، صاحبها الشيخ الطيب بن عيسى، كانت تصدر بشارع باب السويقة رقم 184 بتونس العاصمة، توزع على السلطات العمومية، مواضيع الجريدة هي: المقالة الافتتاحية، الأحوال الإسلامية، الأحوال المحلية، المراسلات الإصلاحية.. للمزيد ينظر:

ـ (بوطيبي محمد: المرجع السابق، ص170).

[2]– نفسه، ص ص 170–171.

[3]– محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص320.

[4]– بوعلام بلقاسمي: المرجع السابق، ص133.

[5]– خير الدين شترة: إسهامات النخبة...، المرجع السابق، ص106.

ورأى الأستاذ المدني عند وصوله إلى الجزائر ما افتك إعجابه وتقديره من الترحيب الأخوي الحار، مما أطلق لسانه وقلمه بالتنويه بذلك في الصحافة، وفي مختلف الأوساط التي يغشاها واجتمع منذ الأيام الأولى برواد الإصلاح، والنهضة العلمية بالجزائر، أمثال: عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي ومبارك الميلي وغيرهم، حيث تقرر بينهم وجوب تسريع وتيرة العمل من أجل النهوض بحركة فعالة تعكس وجه الجزائري الحقيقي، وتقاوم الفرنسة، ونشد يومئذ مقاله ضد الفرنسة والاندماج تحت عنوان "بين الموت والحياة" وذلك في صحيفة "الإصلاح" ومجلة "الشهاب" فكان له صدى واسع، وأثر فعال في الأوساط السياسية، ثم أصبح يحرر قسمي السياسة الخارجية والداخلية بمجلة "الشهاب" التي أنشأها عبد الحميد بن باديس 1925/11/12م[1]، وقد مرت الشهاب بمرحلتين:

المرحلة الأولى (1925-1935م): اتبعت في هذه المرحلة سياسة اللين وعدم مجابهة السياسة الفرنسية.

المرحلة الثانية (1937-1939م): تسمى بمرحلة اليأس حيث خاب أملها في الوعود الفرنسية فوزعت شعار "**لنعول على أنفسنا ولنتكل على الله**" وهنا بدأت تتكلم على استقلال الشعوب كحتمية تاريخية[2].

حيث اختص المدني بكتابة المقالات السياسية في ركن "في الشمال الإفريقي"، ضف إلى ذلك كان لديه مقالات عن المجتمع الجزائري، وظل على ذلك طوال 15 سنة إلى أن أغلقت المجلة سنة 1939[3].

بالإضافة إلى نشاطه في جريدة البصائر حيث أصبح المحرر السياسي لها[4]، هذه الموهبة هي التي قدرها وفسح لها المجال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عند بعث جريدة البصائر سنة 1947، فقد تكفل الشيخ المدني فيها بتغطية السياسة العالمية ومنها قضايا شمال

---

[1]- محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص ص 320-321.

[2]- فضيل دليو: تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة (1830-2013)، ط1، دار هومه، الجزائر، ص87.

[3]- محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص321.

[4]- محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: المرجع السابق، ص518.

إفريقيا، ثم أضاف إليها بابا جديدا عن العلوم والاختراعات معظم مادته كانت مترجمة، لمواكبة مستجدات العلم، وبعد سفر الشيخ الإبراهيمي إلى مصر وانطلاق الثورة فتح المدني في البصائر بابا آخر بعنوان: "يوميات الأزمة الجزائرية"، معظم مادته كانت مترجمة أيضا عن وكالات الأنباء، وأخيرا أصبح هو رئيس تحرير البصائر والكاتب لافتتاحيتها لغياب رئيس تحريرها الأصلي "الإبراهيمي"[1].

ثانيا: مؤلفاته وإبداعاته الفكرية والثقافية

بالرغم من الأعمال الكثيرة المختلفة التي تكتنف حياة الأستاذ المدني فإن له مساهمة فكرية واسعة في ميدان التأليف، فكان لا ينفك يترصد بشغف الفرص السانحة للكتابة، حتى إذا واتته عرف كيف ينتهزها، وكيف يستغلها فيما ينفع[2]، كما أشاد قائلا: «**كنت كثير الحركة، متعدد النواحي في العمل والإنتاج لا أكتفي بالعمل السياسي ضمن دائرة الحزب، أو بالعمل الصحفي فوق أعمدة المجلات والصحف أو بالخطابة المستمرة في مختلف النوادي وشعب الحزب... إلا أنني عزمت على اقتحام باب التأليف بعد ذلك بصفة متوالية**»[3].

لا شك أن المدني الذي حمل لقب القطرين، يعد ذخيرة ثقافية جزائرية تونسية، فقد عاش شبابه الأول في تونس، التي مثلت مسقط رأسه، وترعرع في أجوائها الفكرية والسياسية، فقد نهل من قلاعها المعرفية الكلاسيكية والعصرية، ممثلة في جامع الزيتونة الشهير والصادقية* الذائعة الصيت، وهناك استفاد من تكوين قاعدي مبين، يعود الفضل في تحقيقه، زيادة على استعداداته الفطرية إلى تلك الجهود التي بذلها طائفة الأساتذة والشيوخ المرموقين[4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: حاطب أوراق، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص27.

[2]– محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص335.

[3]– أحمد توفيق المدني: المصدر السابق، ص439.

* تنسب المدرسة الصادقية إلى أمير العصر محمد صادق باي (1859–1882م) وقد فتحت أبوابها يوم 20 محرم سنة 1292هـ/27 فيفري 1875م، حيث تأسست على يد خير الدين التونسي، وعين العربي زروق على رأسها لصفة مدير، تعد من بين المدارس حديثة بتونس، تدرس العلوم العصرية واللغات الأجنبية كالتركية والفرنسية والإيطالية، للمزيد ينظر: (خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900–1956م، ج1، المرجع السابق، ص ص 645–647.

[4]– مصطفى عبيد: مجلة البحوث العلمية التاريخة، مج2، ع5، الجزائر، 2018، ص10.

1ـ تقويم المنصور:

إذ تعدّ أولى كتابات المدني، حيث صدر الجزء الأول سنة 1922 بتونس في شكل حولية تحتوي على خمسة فصول، يراد منها بعث الضمائر ولفت الانتباه، يشتمل على مختلف العلوم[1]، حيث تحدث عن صدور مجموعة أعدادها في مذكراته، حيث قام بتقسيمه إلى ثلاثة عشر بابا حسب المواضيع وهي: الفلك، المباحث العلمية، ثمرات من بساتين العلوم، مرآة العالم، باقة من رياض الأدب، العالم الإسلامي، أشهر حوادث وأعظم الرجال، العالم الاقتصادي، القسم السياسي، عرائس الأفكار، العملة، مطبوعات السنة، في عالمي المشرق والمغرب، وكان الجزء مزين بأربع وثلاثين صورة.

استمر المدني في التقاويم اللاحقة بإضافة بعض أبواب على نفس الطريقة سنة 1923-1924-1925م مبرزا ذلك صحائف ربة المنزل، طبيب الدار، حياتنا الاجتماعية، قطرنا المغربي، بين المزارع والحقول، عظماؤنا [2]، وتوالت أجزاؤه وصولا إلى الجزء الرابع والخامس، هذا الأخير الذي حقق نجاحا باهرا، اللذين أصدرهما في الجزائر سنوات 1926-1929.

وقد علقت جريدة "الشهاب" على تقويم المنصور بالقول: «**وهو السفر الحافل الذي يدبجه صديقنا السيد أحمد توفيق المدني كل سنة هجرية... يشتمل ما لذ وطاب من مختلف المواضيع العلمية والأدبية، والتاريخية والاجتماعية وغيرها، فنحثّ كل قارئ يهمه رقي العربية والعربية والعلم والأدب، أن يسارع إلى توجيه اشتراكه**»[3].

2 ـ قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي:

أما في المجال التاريخي فكانت أول كتابات الشيخ أحمد توفيق المدني الذي اهتم به اهتماما واسعا، وأول بذرة زرعها في هذا الفن "قرطاجنة في أربعة عصور" أو تاريخ إفريقيا الشمالية قبل الإسلام، صدر سنة 1927[4].

---

[1]- أحمد توفيق المدني: محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص14.

[2]- نفسه، ص ص 439-442.

[3]- الشهاب: «تقويم المنصور لسنة 1345هـ/1926م»، العدد31، ص18.

[4]- مسعود كواتي: المرجع السابق، ص225.

حيث تمتد الفترة التي تناولها كتاب "قرطاجنة في أربعة عصور" من العصور الحجرية مرورا بالمقاومة البربرية ضد الغزاة، وانتهاء بالفتح الإسلامي، أي انتهى تشكيل الأمة الجزائرية الحالية حسب كل من الاتجاه الإصلاحي ودعاة استرجاع الاستقلال، لأنه وقع آنذاك تمازج البربر والعرب بفعل الأصل السامي وتشابه النمط المعيشي إضافة إلى عاملي الدين وروح المساواة [1].

فكتاب قرطاجنة في أربعة عصور يسد هذه الثلمة لأنه بحث بحثا مطولا في جميع أدوار ذلك التاريخ، فدرس أولا دولة قرطاجنة الرومانية، ودرس من بعد دولة الوندال التي احتلت البلاد ثم دولة الروم، وأعمال الخارجية والداخلية مع البربر، وحالتها العلمية والاجتماعية والاقتصادية، وأعمالها الفلاحية والتجارية مع بيان جميع الأسباب التي سببت رقيها وأدت إلى اضمحلالها.

أما مقدمة الكتاب فتبحث عن جغرافية تونس والجزائر والمغرب وعن أصل البربر وأنواعهم وعن حالة البلاد قبل عصر التاريخ، والخاتمة ففيها ذكر الفتح العربي والأسباب التي تم لأجلها نجاح الإسلام بهذه الديار واستقراره فيها قرار متينا[2].

3ـ كتاب الجزائر:

أصدره في سنة 1931م، بعد أن قضى أربع سنوات في الجمع والترتيب احتوى الكتاب على 511 صفحة، ويندرج ضمن هذا الكتاب 14 قسما، حيث جاء كرد فعل على الاحتفالات المئوية باحتلال الجزائر[3].

فالكتاب كشف زيف الاستعمار حول تاريخ الجزائر والخرافات وبغض مبدأ فرق تسد، ومدى إختلاط وتماسك العناصر السكانية في الجزائر، وقد وحدهم في ذلك الإسلام، و الكتاب مهدى للشباب المسلمين في أرض الجزائر، وألح على دورهم في الحياة ومصير الأمة فهم يجهلون تاريخ بلدهم، وطبيعة نظمه وقوانينه وعناصر حالته الأدبية وقوته الاقتصادية، هذا ما

[1]– رابح لونيسي: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920–1954)، المرجع السابق، ص366.

[2]– الشهاب: "قرطاجنة في أربعة عصور"، العدد92، ص19–20.

[3]– رابح لونيسي: دراسات حول إيديولوجية وتاريخ الثورة الجزائرية، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012، ص161.

أحدث فيهم إحساسا بأنهم غرباء عن وطنهم وحثهم على الاجتهاد والاتحاد والنشاط والوطنية وأن يتخذوا كشعار الإسلام ديني، العربية لغتي، الجزائر وطني[1].

ولهذا أورد في كتابه "الجزائر" قائلا: «ها أنا ذا يا شباب المسلمين أقدم لكم كتاب الجزائر، وقد جمعت لكم بين دفتيه ما يجب على كل جزائري مسلم أن يعرفه عن بلاده، وفيه نهاية ما أوصلني إليه بحثي، واجتهادي في هذا المضمار... فتقبله مني أيها الشاب المسلم الجزائري عملا خالصا»[2]، فقد جاء في نص مقال الأمير "شكيب أرسلان" عن "كتاب الجزائر" في مجلة الفتح: « من أحسن ما أخرج في هذا العصر كتاب "الجزائر" للأستاذ بحث السيد أحمد توفيق المدني أكثر الله في الإسلام من أمثاله... أحصى المؤلف في هذا الكتاب المبين كل ما تلزم معرفته من أمور المغرب الأوسط من تاريخ وجغرافية وإدارة واجتماع واقتصاد، وغير ذلك بعبارة سائغة بليغة جامعة لا تمل بإطناب ولا تخل بإيجاز ولا اقتضاب، فإن كان كتاب حديث لائقا بالقضية وجديرا بأن يقال أنه ليس عنه غنية»[3].

4ـ محمد عثمان باشا (داي الجزائر 1766-1796):

صدر الكتاب سنة 1938، حيث بقي أحمد توفيق المدني وفيا لطريقة كتابته، والمتمثلة في قراءة الحاضر الاستعماري من خلال الماضي التاريخي، فكما استهدف دفع القارئ إلى المقارنة بين الاستعمارين الروماني والفرنسي في كتابه "قرطاجنة في أربعة عصور"، فإنه قام بنفس الأمر في كتابه حول "محمد عثمان باشا داي الجزائر"، واستهدف هذه المرة كشف وفضح الدعاية الاستعمارية القائلة بأن فرنسا أنقذت الشعب الجزائري من ظلم وجبروت الحكم التركي[4].

---

[1]- بكاكرية جودي: المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفة الأشرف، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2009، ص193.

[2]- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص18.

[3]- الفتح: العدد 289، 10 مارس 1932، ص14.

[4]- رابح لونيسي: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص ص 368-369.

وفي مذكراته أوضح المؤلف بصورة عميقة ودقيقة الأهداف والأبعاد المتوخاة من إصدار هذا الكتاب ونشره للجمهور فقال[1]: «كان هذا الكتاب في اعتقادي ثالث خدمة أقدمها للجزائر الحبيبة الحسيبة بعد جمعية العلماء وبعد كتاب الجزائر، فالعصر العثماني بالقطر الجزائري كان هو العدو الألد للسلطة الفرنسية، وكان الهدف المحدد الذي تتوجه إليه السهام المسمومة والتهم الفظيعة والأكاذيب الفاضحة، حتى يقول الناس كافة وقد تشبعوا بدعاية فاجرة، إن فرنسا جاءت منقذة وأنه لولا تدخلها لما بقي في أرض الجزائر أحد من رجالها ولا شيء من خيراتها»[2].

لقد أبرز من خلال الكتاب الحقائق التاريخية التي حاول الفرنسيون طمسها حين قالوا طوال مائة عام: إن الجزائر كانت مستعمرة تركية في حالة بؤس وشقاء، وحروب أهلية إلى أن جاء الفرنسيون فحرروها ومدنوها، فبين المؤلف حقيقة النجدة العثمانية للجزائر ضد العدوان الصليبي، ونشأة الدولة الجزائرية واستقلالها وبطولاتها، كما بين فظائع وأهوال الاحتلال الفرنسي، ويعد هذا الكتاب أيضا مدرسة تاريخية عليها عول كل من كتب لاحقا في هذا الموضوع[3].

قسم المدني كتابه إلى تمهيد وأربعة أقسام، تناول في التمهيد تاريخ العهد العثماني في الجزائر الذي اعتبر أنه وضع الشخصية الدولية للجزائر ودافع عنها ووحدها وأسس دولتها، ويتميز هذا التمهيد بالمقارنات التي قام بها المؤلف بين ما كان يحدث في كل من الجزائر وأوربا في نفس الفترة في مجال القرصنة، ومعاملة الأسرى والظلم والتقتيل، كما ركز على المذابح التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في الجزائر وقارنها مع قمع الأتراك لمختلف الثورات ليبرز فظاعة الفرنسيين مقارنة بالأتراك[4].

---

[1]– مسعود كواتي: المرجع السابق، ص229.

[2]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص382.

[3]– محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص336.

[4]– رابح لونيسي: المرجع السابق، ص369.

أما القسم الأول فهو خلاصة عن الولاة والحوادث في العصر التركي[1]، وكان دائم الإشارة في الهامش إلى أهم الأحداث العالمية المقبلة المتزامنة مع الأحداث الواقعة في الجزائر، وتناول القسم الثاني سيرة الداي عثمان باشا مستندا في صياغتها على مذكرات نقيب أشراف الجزائر محمد شريف الزهار، وكذلك كتاب "التحفة المرصنة في الدولة البكداشية"، أما القسمين الثالث والرابع، فهي مجرد ملاحق له، وقد أورد فيهما مقتطفات من دفتر التشريفات ومما كتبه فرنتان دي بارادي,

حيث يتميز الكتاب بمنهج علمي صارم، ومع ذلك فقد حقق الهدف المبتغى منه، وهو الأمر الذي جعل ابن باديس يعلق على الكتاب ويطالب كل مسلم جزائري بقراءته بهدف جعله أكثر بغضا وكرها للاستعمار الفرنسي وبالتالي يغرس فيه الرغبة والاستعداد للثورة عليه ما دام أن "الحب والبغض سلاحان لازمان في الحياة ولا بقاء لأمة بدونهما إذا استعملتهما في محلهما"[2].

5ـ المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا:

صدر سنة 1946، يعد أول كتاب عن صقلية باللغة العربية، ينقسم إلى تسعة أقسام، عالج فيها وصف جزيرة صقلية، وموجز لتاريخها ومدنها وآثارها، والحكم الإسلامي في العهد الأغلبي والفاطمي، وعصر الاستقلال الذاتي، والحكم الروماني، والتمدن والعمران، وفي الأخير العلوم والأدب، ونظرا لاهتمامه بالتاريخ الإسلامي بصقلية قديما أكد على رغبته في التوسع عن تلك الحقبة من التاريخ[3].

[1]– أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، طبعة خاصة، عالم المعرفة، 2010، ص223.

[2]– رابح لونيسي: المرجع السابق، ص369–370.

[3]– مسعود كواتي: المرجع السابق، ص231.

يتحدث أحمد توفيق المدني عن هذا الكتاب وأسباب نشره، حيث أنه عندما كان بالنادي عشية، إذ جاءه عون سري يطلب منه الذهاب فورا لدار العمالة، حيث تلقى إنذارا بسبب سلوكه وسياسته العدوانية الطائشة، وأقواله التي يمكن اعتبارها إجرامية، حسب تقديرات العدو [1].

6 ـ جغرافية القطر الجزائري:

طبع بالجزائر سنة 1948، وهو الأول من نوعه بالعربية، وكان موجها إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء، وقد سد فراغا كبيرا، رابط فيه بين التاريخ والجغرافيا وملأه بالمشاعر السياسية الوطنية[2]، حيث قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، اشتمل على التبويب التالي: الجغرافيا الطبيعية، الجغرافيا الاقتصادية، الجغرافيا السياسية، إذ يعدّ الكتاب المرجع الجامع الوحيد عن بلاد الجزائر [3].

وقد جاء في تقديم المدني لكتابه قوله الموجه لشبان موجها رسالة عميقة، فكتب: «فلتكن أيها الشاب المسلم الجزائري، بوطنك فخورا... إنه وهو القطر العربي الصميم، يرجو أن ترفع بعلمك وبعملك وجهودك رأسه... وإنه هو القطر المتين/ الإسلام يريد منك أن تجعله نموذجا للرقي»[4].

7ـ حنبعل

صدرت هذه الرواية سنة 1950م، مسرحية تاريخية هامة نظرا لما تضمنته، لهذا أدرج المدني في مقدمة الكتاب حولها دعوة إلى الشباب المغربي، حامل راية الكفاح، في سبيل حرية الأمة وشرف الوطن، إحياء صفحة من جهاد أبطاله الأولين [5].

وأوضح المدني حول خفايا تأليف هذا الرواية في مذكراته التي ترجع إلى الخيبات المتوالية في ميدان السياسة بالشمال الإفريقي، وكان للنكبة العارمة التي أصابت العرب والمسلمين في

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص480.

[2]– أبو القاسم سعد الله: حاطب أوراق، المرجع السابق، ص ص 420–421.

[3]– محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص337.

[4]– أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص17.

[5]– احمد توفيق المدني: حنبعل رواية تاريخية، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص17.

فلسطين وقع أليم جدا على كل الطبقات الجزائرية المتحمسة، فأصاب الكثير منها يومئذ نوع من اليأس القاتل، فكان لابد من محاربته بالقلم والخطبة، فاختار توفيق المدني المسرح كسبيل لذلك[1]، وقد مثلها محي الدين باشتارزي.

8 ـ هذه هي الجزائر

ألفه سنة 1957م بالقاهرة[2] وقد كتبه تسجيلا للواقع، وتعريفا علميا بهذا القطر، وبهذا الشعب، فهو يعتمد على الصادق من أبناء التاريخ، وعلى الثابت من أرقام الإحصاء ويصف الحالة الحقيقية كأنها الصورة طبق الأصل، بدون مبالغة ولا تهويل[3]، وقد قسم الكتاب إلى ستة أقسام تضمنت: التعريف بالبلاد الجزائرية، سكان القطر الجزائري، ما يجب أن يعرف عن تاريخ الوطن الجزائري، تحطيم الأمة المقاومة، الثورة الكبرى.

9 ـ حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792):

صدر هذا الكتاب بعد الاستقلال سنة 1968، ونظرا لأهميته يقول المدني: «دراسة تشمل في آن واحد عصرا معينا، هو عصر الدولة الجزائرية العثمانية، وحادثا معينا هو الغزو الصليبي الاستعماري الإسباني لبلادنا، وما كان لذلك الغزو من أسباب ومن نتائج، وما اقترن به طيلة ثلاثة قرون (1492-1792) من ملابسات ومن تطورات، ثم أصف الوقائع -حربية كانت أو سياسية- وصفا مسهبا ترى به الصورة الحقيقية واضحة التقاسيم، ناصعة الألوان لا دخل فيها للزيف أو للخيال»[4].

وإن النظرة إلى محتوى "حرب الثلاثمائة.." ستعطي فكرة كافية عن اهتمامات المؤلف، فبعد تمهيد طويل عن الثلاثة قرون التي سبقت صلة الجزائر بالعثمانيين يقسم بقية الكتاب إلى 19 فصلا تتناول أسباب وصيغة العدوان الإسباني، وحالة هذا العدوان، وشخصية خير الدين وعلاقة الإسبان بدولة بني زيان، وحملة شارل الخامس (شارلكان) ضد الجزائر، ودور حسن بن

[1]- مسعود كواتي: المرجع السابق، ص234

[2]- أبو القاسم سعد الله: حاطب أوراق، المرجع السابق، ص421.

[3]- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص20.

[4]- احمد توفيق المدني: حرب الثلامائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص05.

خير الدين وشخصية صالح رايس، وجهاد قلش علي، وموقف الشعر الجزائري والنظام الإسباني في وهران وإنقاذ وهران من الإسبان، ثم عودة الإسبان ثانية وانتصار الجزائر الكبير، وتحت كل فصل عناوين فرعية نظمت بطريقة مدرسية تساعد القارئ على العثور على ما يريد[1].

10ـ مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر:

كتاب خاص بفترة ما بين (1754-1830)، وقد طبعت سنة 1974[2]، حيث أقر المدني في المقدمة أسباب التأليف، والمتمثلة في سببين: أولهما: قناعة الكاتب بالحاجة إلى وثيقة جديدة، صادقة في سجل تاريخ العهد العثماني الطويل في الجزائر الذي يعتقد أنه ظلم كثيرا وثانيهما، أنه يعتبره كوفاء بالعهد الذي قطعته لسيد فاضل من رجال الجزائر القدماء هو الشيخ سيدي محمود الشريف الزهار* [3].

حيث عالج الكاتب في هذه المذكرات إحدى عشرة فترة لحكم باشا وقد تدخل المحقق فذكر الأحداث التي أغفلها أو أهملها المؤلف بعد ذكر كل ولاية تحت عنوان "أهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف" زيادة إلى التعاليق التي تتعلق بكل فصل في الهوامش شارحا بعض المصطلحات أو المفردات، مما أثر في الكتاب وزاده فائدة وهو مدعم بمجموعة من الصور[4].

حيث تناول في المقدمة الهدف من الكتاب، ولهذا الإيضاح جانب إيجابي للمرحلة العثمانية في الجزائر عكس ما يدعيه الغربيون، والوفاء لعهد محمود الشريف الزهار نقيب الأشراف الأخير الذي تسلم منه المخطوط، كما انبرى لعرض سيرة هذا الأخير[5].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص ص 348-349.

[2]- محمد صالح الصديق: المرجع السابق، ص337.

* كاتب ومقاوم جزائري من الأشراف، ولد بمدينة الجزائر سنة 1781، شارك في الدفاع عن مدينة الجزائر أثناء الغزو الفرنسي، وعمل الحاج مع أحمد باي، ثم مع الأمير عبد القادر، وبعد فشل مقاومة هذا الأخير التجأ إلى المغرب، وعمل في حقلي التجارة والكتابة، توفي سنة 1872، للمزيد ينظر: (عبد القادر خليفي: النضال السياسي...، المرجع السابق، ص198.

[3]- المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص17.

[4]- مسعود كواتي: المرجع السابق، ص237.

[5]- بكاكرية جودي: المرجع السابق، ص203.

11ـ حياة كفاح (مذكرات):

هو كتاب في ثلاثة أجزاء، صدرت بتواريخ مختلفة، وقد كتب مذكراته في أواخر حياته بعنوان: "حياة كفاح" وهي بداية نشاطه السياسي والفكري في تونس حتى دخوله الجزائر، أما الجزء الثاني فيغطي مرحلة المد الوطني والنضال القومي بروحه الدينية، كما جسده الفكر الإسلامي من (1925-1954)، بهذا التاريخ نبدأ مرحلة جديدة في حياة الجزائر، عندما قررت مخاطبة المحتل باللغة التي لا يصغي لغيرها، وهي لغة السلاح، وليس من المعتاد منه الإصغاء لصوت ضعيف، ولا لموقف هزيل في غياب لغة الردع منطقا وحيدا، هذه المرحلة (1954-1962م) كانت موضوع الجزء الثالث[1].

أثارت هذه المذكرات وخاصة الجزء الثاني منها جدلا حادا على الساحة الثقافية الجزائرية، ويبدو أنه قد بالغ فيه عن الحديث عن دوره في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مما جعل محمد طاهر فضلاء يرد عليه في كتاب بعنوان: "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح"، نشرته دار البحث بقسنطينة عام 1982[2].

12ـ رد أديب على حملة الأكاذيب:

وهو كتاب موثق في الرد على من هاجموه بعد صدور مذكراته، ولم يعش أحمد توفيق المدني بعد نشر الجزء الثالث من مذكراته عام 1982م، لينشر الجزء الرابع[3]، حيث كانت وفاته في خريف 1983م فانتهى أحمد توفيق المدني بجسده وبقي بفكره ومؤلفاته حيا خالدا في وجدان أمته بآرائه ومواقفه التي تعكسها آثاره المنشورة في الكتب والمقالات التي تزخر بها الصحف العربية والإسلامية ومنها الجزائرية أهمها: البصائر[4]، ومن هنا ارتأينا أن نسلط الضوء على الجزء الثالث من كتاب "حياة كفاح" بالدراسة والتحليل.

---

[1]- مريم الصغير: المرجع السابق، ص73.

[2]- بوعلام بلقاسمي: المرجع السابق، ص136.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص421.

[4]- مريم الصغير: المرجع السابق، ص74.

الدراسة الشكلية للكتاب:

الاسم الكامل للمؤلف: أحمد توفيق المدني

عنوان الكتاب: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية – مذكرات –

الجزء: الثالث

رقم الطبعة: الطبعة الأولى

دار الطباعة والنشر: دار البصائر

مكان النشر: الجزائر

سنة النشر: 2008م

عدد الصفحات: 855 صفحة

الوصف الخارجي للكتاب:

اللون: أزرق يتخلله الأزرق والأسود

الطول: 24سم

العرض: 17سم

السمك: 04سم

عدد أقسام الكتاب: قسم المدني كتابه إلى مقدمة وأربعة أقسام:

القسم الأول: مع ركب الثورة التحريرية: من صفحة23 إلى غاية الصفحة 155، يندرج ضمن القسم عناصر جزئية عددها 41 عنصرا.

القسم الثاني: بالعالم العربي: من صفحة 161 إلى غاية 575 يعد هذا القسم من أكبر الأقسام في هذا الكتاب سواء في عدد الصفحات أو في عدد المواضيع المتناولة، حيث يندرج في هذا القسم 163 عنصرا.

القسم الثالث: وزارة الثقافة: من الصفحة 579 إلى غاية الصفحة 726، يحتوي هذا القسم على 51 عنصرا

القسم الرابع: التمثيل الدائم بجامعة الدول العربية: من الصفحة 732–847 ويتمحور ضمن هذا الأخير 54 عنصرا.

الإطار الزمني للكتاب:

يعالج حياة كفاح (ج3) الفترة الزمنية الممتدة من 1954 إلى غاية 1962، فكل قسم من أقسام الكتاب الأربعة يدرس فترة زمنية معينة في تاريخ الثورة التحريرية؛

القسم الأول: يدرس الفترة الزمنية من سنة 1954 إلى غاية مارس 1956.

القسم الثاني: يدرس الفترة الزمنية من شهر أفريل 1956 إلى غاية أوت 1958.

القسم الثالث: يدرس الفترة الزمنية من شهر سبتمبر 1958 إلى غاية ديسمبر 1959.

القسم الرابع: يدرس الفترة الزمنية من شهر جانفي 1960 إلى غاية سبتمبر 1962.

الفصل الثاني:
المدني من النشاط السياسي إلى النشاط الدبلوماسي

المبحث الأول: العلماء والثورة

المطلب الأول: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية

المطلب الثاني: موقف جريدة البصائر من الثورة التحريرية (1954-1956م)

المطلب الثالث: التحاق المدني بالثورة

المبحث الثاني: النشاط السياسي لجبهة التحرير وأثرة على الثورة (1956-1958)

المطلب الأول: التشكيلة الثانية للوفد الخارجي وأهم النشاطات

المطلب الثاني: أهم النكبات التي واجهت الثورة

المطلب الثالث: مؤتمر الصومام وتداعياته

المطلب الرابع: التشكيلة الثالثة للوفد الخارجي وأهم نشاطاتها

عند اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954، جاء بيانها الأول واضحا بشأن التحاق جميع الجزائريين ومختلف تشكيلات الحركة الوطنية بشرط أن يكون الالتحاق فرادى، وهذا ما قامت به جمعية العلماء المسلمين، ومن بين رجالاتها توفيق المدني كان له دور بارز من خلال النشاط ضمن بعثة الوفد الخارجي، والذي سيعطينا تفاصيل دقيقة عاشها أثناء تأدية مهامه، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل، حيث قمنا بعرض لمختلف المواقف وما شهدته الثورة التحريرية من تطورات وأحداث، خاصة في المجال الدبلوماسي، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: العلماء والثورة

المبحث الثاني: النشاط السياسي لجبهة التحرير وأثرة على الثورة (1956-1958)

المبحث الأول: العلماء والثورة

تطرق توفيق المدني من خلال القسم الأول من الكتاب إلى تفاصيل مهمة عن بداية اندلاع الثورة، من منطلق آرائه ومعايشته لكثير من الأحداث في تلك الفترة من جهة، وباعتباره عنصرا مساهما في الحياة السياسية من جهة ثانية، ويمكن تلخيصها ضمن ثلاثة محطات رئيسية، تتمثل في موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية وموقف جريدة البصائر من الثورة التحريرية (1954-1956م)، إضافة إلى التحاقه بالثورة التحريرية.

المطلب الأول: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية

على غرار الأحزاب السياسية والهيئات التي خيم عليها الترقب والسكون إثر اندلاع الثورة التحريرية، نظرا لعنصر المفاجأة الذي تميزت به، كان موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو الآخر يتسم بالترقب منذ العمليات الأولى، حيث يقول بنجامين ستورا Benjamin Stora: «أما رجال الدين الجزائريين -يقصد جمعية العلماء- فقد اختبئوا تحت ظل الحذر يترقبون...»[1]، ويعد موقف الجمعية من أكثر مواقف الهيئات تشعبا، ولمعرفة تفاصيل وحقيقة هذا الموقف، وجب طرح التساؤل التالي: كيف كان موقف جمعية العلماء المسلمين في الداخل والخارج من الثورة التحريرية؟.

تزامن اندلاع الثورة التحريرية يوم غرة نوفمبر 1954 في الجزائر، باجتماع المجلس الإداري لجماعة العلماء المسلمين*، الذي انعقد بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة وتفاجئ المجتمعون بما تعلقت الأنباء عن اشتعال الثورة، وحسب توفيق المدني فإنه بالإضافة إلى الأعمال الإدارية ومعالجة قضايا الجمعية**، إن عليهم اتخاذ موقف من اندلاع الثورة التحريرية

---

[1]- محمد بن ساعو: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954-1962، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2016، ص81.

* بعد هجرة الشيخ البشير الإبراهيمي بمحض إرادته إلى المشرق، أصبح مصير الجمعية بيد الشيخ العربي التبسي رئيسا لها، ومحمد خير الدين نائبا له.

** ترك غياب الإبراهيمي عن الساحة الوطنية إشاعات تحوم حول شخصه، ومن الذين انتقدوه الشيخ العربي التبسي على إهمال شؤون الجمعية وفي هذا الاجتماع كان الشيخ العربي التبسي غائبا كذلك، وكان يومها في رحلة لأداء مناسك الحج.

خاصة وأن جمعية العلماء كانت في طليعة الأمة المجاهدة في سبيل دينها ولغتها وفي سبيل المحافظة على التقاليد الإسلامية الصحيحة[1].

يذهب محمد حربي إلى أن الرأي العام في أول نوفمبر 1954 لم يجد مصدرا إعلاميا يرجع إليه للتعرف على ما حدث إلا البيان الذي أذاعته السلطات الاستعمارية الذي قدم صورة مشوهة لبرنامج عمل جبهة التحرير الوطني، خلافا لإذاعة القاهرة التي أعطت صورة مثالية للأحداث، استنادا إلى ما قدمه محمد بوضياف من معلومات[2].

يتساءل المدني بالقول: « فكيف يكون موقف الجمعية من القضية المعلنة؟»، وخاصة أن الذين أعلنوها؛ أي حزب الشعب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وقع بينهم وبين جمعية العلماء تصادم وصل إلى حد مبارزة صحفية حادة شارك فيها حتى رئيس الجمعية محمد البشير الإبراهيمي[3]، ويجيب في نفس الإطار بأن بيان أول نوفمبر جاء بنص صريح: إنها ثورة شعبية لا حزبية والقيادة فيها جماعية، وهدفها تحقيق الاستقلال، وتدعو الجميع للمشاركة فيها.

بعد انتهاء الاجتماع يقول المدني: «وبعد مذكرات طويلة، ومفاهمات خاصة وعامة، رأينا أننا من الثورة ومع الثورة ولا يمكن إطلاقا أن لا نكون مع الثورة مع الحذر التام»، ويؤكد هذا الأخير على موقف الجمعية الإيجابي من الثورة، إذ أنه بعث برسالة إلى الشيخ الإبراهيمي المتواجد بالقاهرة، أبلغه فيها بأن الثورة العارمة قد انطلقت، وأسندت قيادتها لهيئة جماعية، وطلب منه أن يصدر منشورا عاما يبارك من خلاله الثورة، ويدعوا الأمة إلى المشاركة فيها[4].

لم تتأخر الجمعية حتى أعلن رئيسها البشير الإبراهيمي عن طريق راديو القاهرة باسم جمعية العلماء المسلمين يوم 15 نوفمبر 1954 نداء إلى الشعب الجزائري[5]، نشرته الجرائد،

---

[1]- المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 16-17.

[2]- محمد حربي: الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، المصدر السابق، ص ص 16-17.

[3]- المدني: حياة كفاح، ج3، ط خ، دار عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2010، ص40.

[4]- نفسه، ص42.

[5]- صالح فركوس: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة الجزائرية (1954-1962)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد28، ديسمبر2007، الجزائر، ص260.

بارك من خلاله الجهاد الثوري في الجزائر، ومما جاء في النداء «حياكم الله أيها الثائرون الأبطال وبارك الله في جهادكم... لقد أثبتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق... إن الخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا... لأنكم اليوم أمام أمرين، إما حياة أو موت... وإما بقاء كريم، أو فناء شريف»[1].

ويتفق مولود قاسم نايت بلقاسم مع توفيق المدني في عدد البيانات التي أصدرتها الجمعية، إذ يقول: «أما جمعية العلماء فقد أصدرت بيانا وندائين وبلاغا، أو أربعة نداءات بأسماء وعناوين مختلفة، الأول كان يوم 28 يناير 1955»[2].

ونشر بيان العلماء الأول بجريدة البصائر عدد 304، ومما جاء فيه: «إن البلاد في حاجة إلى تغيرات أصولية أساسية تتناول سائر الأسس التي بني عليها النظام الجزائري... ولا تقبل الأمة بأية حال ولا ترضى عن برنامج إصلاحي، إلا إذا حقق رغبتها التحريرية الكبرى في كل ما تعلق بالحكم والإدارة والشؤون العامة، وكل ما يتعلق بدينها ولغتها»[3].

وفي البيان الأول نص صريح يدعو الإدارة الفرنسية إلى بحث سبل التفاوض مع جبهة التحرير الوطني بصفتها ممثل الأمة، وتتكلم باسم سائر الأحزاب والهيئات والمنظمات القومية، ومما جاء في البيان: «وإن برنامج التغيرات الأساسية الأصولية في أمور البلاد لا يمكن أن يرتجل في باريس ارتجالا، بل يجب أن يكون نتيجة بحث ودراسة عميقة مع ممثلي الأمة الحقيقيين الذين يتكلمون باسم سائر الأحزاب والهيئات والمنظمات القومية»[4]، وهذه إشارة واضحة من رجال الجمعية بالاعتراف بجبهة التحرير الوطني، رغم أنهم لم يستجيبوا لنداء أول نوفمبر بحل المنظمة والالتحاق فرادى بالثورة وتحت لواء الجبهة.

---

[1]– محمد خير الدين: مذكرات الشيخ خير الدين، المرجع السابق، ص ص 167–170، ينظر كذلك البصائر، العدد 276 وتوفيق المدني: حياة كفاح، ج3، ص ص 45–50.

[2]– مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص70.

[3]– محمد بن ساعو: المرجع السابق، ص92.

[4]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص53.

ويذهب محمد العربي الزبيري في كتابه الثورة في عامها الأول إلى القول بأن موقف الجمعية من اندلاع الثورة كان في بدايتها مترددا ومتذبذبا، وقد وقعت قيادة الداخل تحت تأثير البيانين منذ البداية، وأن الشيخ خير الدين قد شارك في المفاوضات السرية مع الوالي العام السيد جاك سوستال، ولم يستثني إلا الشيخ العربي التبسي الذي كان الرئيس الرسمي للجمعية، ولكنه وحسب رأيه كان معزولا عن كل نشاط بسبب معارضته لتصرفات رفاقه، ويذكر أنه تحصل على هذه المعلومات من الشيخ الحسين بن الميلي* الذي كان الشهيد عبان رمضان قد أرسله في مستهل شهر ماي 1955 يدعو أعضاء الجمعية للانضمام فرادى وللقيام بدور المناصر لجبهة التحرير الوطني في أوساط الجماهير الشعبية[1].

لكن المؤرخ سعد الله يرى أن الشيخ خير الدين –ولعل غيره أيضا– قد دعاه الوالي العام سوشال لمعرفة رأيه في الثورة، وكان مستشار الوالي عندئذ هو المستشرق فانسان مونتاي الذي كان على صلة بقادة الثورة، وقد فهم البعض الآخر أن خير الدين يتفاوض مع سوستال فنصحوه بالتخلي عن ذلك[2]، فيما يذهب محمد حربي إلى أن الشيخ محمد خير الدين وأعضاء من جمعية العلماء قد وافقوا على إجراء اتصالات مع السلطات الفرنسية، ومقابلة الحاكم العام جاك سوستال**، وأما "إيف كوربير" فقد ذكر أن الرائد "مونتاي" هو الذي اقترح على سوستال أن يستقبل ممثلين عن الحركة الوطنية، وكان ممثل العلماء المسلمين الشيخ محمد خير الدين بالنسبة لسوستال من الملائم عزل المقاومة قبل تدميرها وذلك بإنشاء قوة ثالثة من الطبقة السياسية المعتدلة، وقام "الرائد مونتاي" مدير ديوانه بزيارة إلى القياديين المسجونين في سجن برباروس، بن خدة وكيوان وهما من المركزيين، ومولاي مرباح ووقواق وهما من المصاليين وشرشالي من

* ويقصد هنا جبهة التحرير الوطني التي تتكلم باسم سائر الأحزاب والمنظمات التي انضمت عناصرها فرادى وهذه الأحزاب والجمعيات هي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مع العلم أن الحزب الشيوعي لم يحل نفسه، وإنما التحق بعض أعضائه إلى الجبهة.

[1]– محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص ص 187–188.

[2]– عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص97.

** حاكم عام بالجزائر منذ سنة 1955، ومن المتخصصين في علم السلالات البشرية، كان مسؤولا عن المخابرات التابعة للجنرال ديغول خلال الحرب العالمية الثانية.

المركزيين، ونصح سوستال أولئك المحاورين بإنشاء تجمع وطني شرعي معقول تستطيع الحكومة الفرنسية أن تتحدث معه[1].

كل هذه الاتصالات حدثت في غياب جبهة التحرير الوطني في الأشهر الأولى من الثورة في أداء واجبها السياسي، وذلك راجع إلى أن القادة انشغلوا بأداء مهام عسكرية في الغالب مع بعض الجهود السياسية المحدودة في نطاق ضيق لم يتجاوز مناطقهم، بسبب انقطاع التواصل بينهم، وكذلك غياب دور المنسق الوطني، مما أصاب الأداء السياسي بالعقم، ولم يتم تخصيب ذلك الجانب إلا بمبادرة من عبان رمضان في شهر جوان عام 1955[2].

بالنسبة لعبان من المستعجل إفشال هذه الاستراتيجية، ففي منشوره الشهير في جوان 1955 ذكّر بالأفكار التي تضمّنها بيان أول نوفمبر ووجه تحذيرا صارما لجميع أولئك الذين قد يستهويهم الاستماع إلى سوستال، ومن جهتهم فإن زيروت يوسف ومسؤولي المنطقة الثانية رأوا أن الوقت مناسب لتجنيد الفدائيين والمسبلين إلى جانب جيش التحرير الوطني في هجومات 20 أوت 1955[3].

وما أن حلت سنة 1956 حتى صرّحت الجمعية بموقفها النهائي من ثورة الفاتح نوفمبر، الذي يقضي بتأييد الثورة علنا، وتقول فيها كلمتها النهائية، وصدر هذا البيان بمناسبة الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد يوم السبت الموافق لـ 07 جانفي 1956 بعاصمة الجزائر، ومما جاء فيه:

« نحن المجتمعون من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نعلن بكل صراحة أن الاستعمار المفروض بقوة السلاح على القطر الجزائري منذ سنة 1830 هو المسؤول الوحيد عن كل المآسي والمصائب والويلات... وندفع أصواتنا بالاحتجاج الصارم العنيف، على ما

---

1 – Yev courriere : La guerre d'Algerie, T2, le temps de l'eopords, casbah edition, alger, 2005, p75.

2– مبروك بلحسين: المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر–القاهرة) 1954–1956، تر: الصادق عماري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص44.

3– نفسه، ص44.

ارتكب في مختلف جهات البلاد من أعمال البطش والإرهاب والتنكيل، وما وقع من الفضائح والفضائع والمنكرات، بدعوى الزجر ومحاولة إخماد الثورة»[1].

وصدر هذا البيان موقع من طرف الشيخ العربي التبسي بصفته الرئيس في غياب الإبراهيمي وتوفيق المدني باعتباره الكاتب العام، والواقع أن موقف جمعية العلماء كجمعية لا كأفراد لم يتضح حقا، ولم يتبلور في مساندة الثورة إلا في هذا النداء التي تنضم فيه إلى الكفاح[2]، وقد اعتقل الاستعمار الفرنسي رئيسها الفعلي الشهيد العربي التبسي بعد إصدار هذا البلاغ، ثم اغتالته، وانضم الأستاذ توفيق المدني أمينها العام وأغلب أعضائها إلى الجبهة، التحق منهم الكثير بالقاهرة أو تونس أو المغرب واستمر وجود الجمعية "قانونيا" ولم تحل إلا بعد استرجاع الاستقلال[3].

المطلب الثاني: موقف جريدة البصائر من الثورة التحريرية (1954-1956)

تعدّ جريدة البصائر* من أهم جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث صدرت السلسلة الثانية منها بين فترة (1947-1956)، وعند اندلاع الثورة التحريرية وفي عددها 292 الصادر يوم 05 نوفمبر 1954، وفي مقال بعنوان: "حوادث الليلة الليلاء" كتبت البصائر: «فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة وقعت كلها بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من صباح يوم الاثنين غرة نوفمبر ولقد بلغ عدد الحوادث ما يزيد عن الثلاثين... إننا إلى حد الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث وأسبابها، وليس بين أيدينا إلا ما تناقلته الصحف وشركات الأخبار، فلا نستطيع أن نعلق عليها أدنى تعليق، فليس من شأن "البصائر" أن تتسرع في مثل هذه المواطن...»[4].

---

[1]- الفضيل الورتلاني: المصدر السابق، ص207.

[2]- مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية..، المرجع السابق، ص73.

[3]- نفسه، ص76.

* هي جريدة تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باللغة العربية تصدر أسبوعيا، وعند اندلاع الثورة كان أعضاء لجنة البصائر الذين كان لهم شرف الكتابة كل من أحمد توفيق المدني، عبد اللطيف السلطاني، الشاعر أحمد سحنون، الشيخ أحمد بوكوشة، الكاتب باعزيز بن عمر.

[4]- البصائر: حوادث الليلة الليلاء، االعدد292، 05 نوفمبر 1954، ص1، ينظر الملحق رقم02.

ومن خلال هذا المقال يتبين أن البصائر تفاجأت بالثورة ولم يكن لها علم بما كان يحدث، وأن كل ما ذكرته منقول عن الصحف وشركات الأخبار الفرنسية، ولم تشر إلى بيان الشيخ الفضيل الورتيلاني* الذي صدر بتاريخ 03 نوفمبر 1954، والواضح أن الجريدة لم ترد أن تقحم نفسها في أمر لم تتأكد منه، لكي لا تتحمل أية مسؤولية، خاصة وأن السلطات الفرنسية تتذرع بحل الجمعية ومصادرة الجريدة.

أما في العدد 293 ليوم 19 نوفمبر 1954 كتبت البصائر مقال بعنوان "لنجابه الحقائق بالحكمة والعقل" ذكرت فيه عدد الهجومات التي قام بها الثوار، وهي سبعون (70) هجوما، وعدد المسلحين نحو ثلاثة آلاف، وذكرت رد فعل الحكومة الفرنسية التي جهزت كامل قواها العسكرية للقضاء على الحوادث، واعتقال من اشتبهت فيهم من الحركة الوطنية، خاصة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وتعلق بأن هذا الإجراء لا يحل المشكل[1].

في هذا العدد لم تشر الجريدة إلى نداء الإبراهيمي والورتيلاني في 15 نوفمبر 1954 الذي يدعو إلى الكفاح المسلح، فهل هذا يعتبر مراوغة من الجريدة أمام السلطات الفرنسية لكي لا يتم الإيقاع بالجريدة وضرب جمعية العلماء؟، ويجيب توفيق المدني عن هذا السؤال بالقول: «إنني وضعت البصائر منذ اليوم الأول، وباتفاق العلماء في صميم المعركة... فقد كان عليّ أولا أن أتولى النضال عن حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال... وكان عليّ ثانيا، أن أتجنب في مقالاتي ما تتخذ منه الحكومة ذريعة للإيقاع بالبصائر وضرب جمعية العلماء...»[2].

* ولد في 06 فيفري 1900 ببني ورتيلان بسطيف، تلقى تعليمه على يد والده، في سنة 1930 التحق بقسنطينة وتتلمذ على يد عبد الحميد بن باديس، وفي سنة 1936 انتدب ممثلا لجمعية العلماء المسلمين بفرنسا، وفي سنة 1940 سافر إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر للحصول على شهادة العالمية بكلية أصول الدين، وفي سنة 1949 أسس مكتب جمعية العلماء بالقاهرة، كتب في أغلب الصحف والمجلات العربية، أُدر نداء في 03 نوفمبر 1954 مؤبدا للصورة، عين ممثلا للصورة في تركيا سنة 1957 للاستزادة ينظر: الفضيل الورتيلاني: الجزائر الثائرة، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص ص 10...27.

[1]– أسعد لهلالي: جمعية....، المرجع السابق، ص101.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص92.

ويذكر توفيق المدني أنه كتب مقالا في جريدة البصائر بالعدد 297 الصادر بتاريخ 17 ديسمبر 1954 تحت عنوان "الجزائر فوق كف عفريت" يقول فيه: «إن هذه الحالة الحالكة المضطربة لا يمكن أن تدوم طويلا، فيتعين على المسؤولين إيجاد حل سريع لها، ووضع حد لأعمال القمع والزجر والتنكيل، بإلغاء النظام الاستعماري، وإحقاق الحق، والاستجابة لرغائب الشعب المشروعة...»[1].

ويضيف المدني قائلا في مقاله: «ومن طالب –وهذا هو مطلب الأمة– بإنشاء حكومة جزائرية ومجلس نيابي جزائري، وديمقراطية حقيقية فوق أديم هذه الأرض... قال له المستعمرون في شدة وصراحة: هذا هو الانفصال...»[2].

ومما يلاحظ في هذه المقالة فضح النظام الاستعماري ومن ورائه غلاة المعمرين وتحميلهم مسؤولية الوضع المأساوي الذي آلت إليه الجزائر، ويطرح المدني التساؤل «أليست الجزائر في موقفها الحالي، موضوعة على كف عفريت»[3]، ويذهب المدني إلى أبعد من ذلك في مقال كتبه في العدد 306* الصادر يوم 18 فيفري 1955 تحت عنوان "كتاب الأدغال"** مخاطبا فيه الحاكم العام جاك سوستال مشبها "الأدغال" بالقطر الجزائري و"شرخان" الخبيث الخسيس على حد تعبيره بالاستعمار، وهو مستوحى من كتاب المؤلف الإنجليزي "كيبلينغ"[4].

وفي هذا المقال دعوة صريحة إلى توحيد الصفوف والكفاح من أجل الاستقلال والحرية والتخلص من الاستعمار، حيث جاء في المقال: «لكن المنبوذين في هذه الغابة، قد سئموا هذا

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 94 .

[2]– البصائر: الجزائر فوق كف عفريت، العدد297، 17 ديسمبر 1954، الجزائر، ص1.

[3]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص94.

* يذكر المدني في الصفحة 95 من كتابه حياة كفاح، ج3، أنه كتب مقالا بعنوان "كتاب الأدغال" في العدد 206 الصادر يوم 18 فيفري 1955، وهو مخطئ لأن العدد 306 هو الصادر يوم 18 فيفري، وقد يكون مجرد خطأ في الكتابة.

** يعتقد محمد العربي الزبيري أن صاحب هذا المقال هو الشيخ العربي التبسي من دون ذكر عدد الجريدة، وهو مخطئ في تاريخ الصدور، لأن العدد 306 جاء بتاريخ 18 فيفري 1955، وليس بتاريخ 08 فيفري 1955، ينظر جريدة البصائر، العدد306 بتاريخ 18 فيفري 1955، الجزائر، ص1، وأيضا محمد العربي الزبيري: الثورة في عامها الأول، المرجع السابق، ص184.

[4]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص95.

العيش... فتنادوا فيما بينهم: أن هلمّ نعلم كيف نعيش عيش بقية الناس، وهلمّ نتضامن لنبلغ الشأن الذي بلغوه، وهلمّ نكافح لنتخلص من خبث "شرخان" ومخالبه الفتاكة»[1]، ويضيف «تململوا، وتحركوا، ودبت فيهم روح الحياة...»[2].

ويذهب المؤرخ محمد العربي الزبيري إلى تقسيم جمعية العلماء المسلمين إلى جناحين جناح مؤيد للثورة وجناح معتدل يميل إلى الحل السياسي، وبحكم المكانة التي يحتلها الجناح الثوري وعلى رأسه الشيخ العربي التبسي تحولت البصائر إلى جريدة تعكس تيارين سياسيين متباينين، فمن جهة التيار الثوري ومن خلال بعض الافتتاحيات والنداءات الموجهة للرأي العام الفرنسي والدولي حتى يستيقظ الضمير الإنساني من أجل مناصرة الثورة والوقوف بشدة وحزم في وجه القوى الاستعمارية الشرسة، ومن جهة ثانية التيار الذي يطلق عليه أصحابه صفة الاعتدال والذي يتمثل في محاولات الانفتاح على السلطات الرسمية أملا في إيجاد طريق التفاوض قصد التوصل إلى إقناع الحكومة الفرنسية بضرورة تطبيق الإصلاح الذي من خصائصه العدل والمساواة بين كافة سكان الجزائر[3].

وحينما اشتدت لهجة البصائر على كشف جرائم الاستعمار الفرنسي أصبحت تتعرض للمصادرة قبل أن تصل إلى أيدي القراء، وهذا ما أكده المدني في مقال نشره في البصائر تحت عنوان "مصادرة جديدة" بالعدد 336 الصادر يوم 07 أكتوبر 1955، ومما جاء فيه «ومرة أخرى، يصدر عامل عمالة الجزائر أمره بمصادرة صحيفة الأمة الوحيدة الذي يستقون منه أبنائهم، وهكذا لم يتصل القراء بالعدد 333، من جريدتنا كما لم يتصلوا من قبل بأعداد أخرى حجزت وحيل بينها وبين القراء»[4]، وقد جرى مصادرة العدد 300 والعدد 301 والعدد 333،

---

[1]– البصائر: كتاب الأدغال، العدد306، 18 فيفري 1955، الجزائر، ص1.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص97.

[3]– محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، المرجع السابق، ص ص 184–185.

[4]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص121.

وهذا ما أكدته جريدة البصائر في مقالها بعنوان "لا رجوع إلى الوراء" في العدد 232 الصادر بتاريخ 09 سبتمبر 1955[1].

ومن خلال تتبع نماذج للبصائر في الفترة الممتدة بين اندلاع الثورة التحريرية وآخر عدد صدر لجريدة البصائر، بتأكد لنا التذبذب في الآراء حول الثورة، وذلك باختلاف أفكار الأقلام التي تكتب مواضيعها والظروف السائدة آنذاك، ويمكن اعتبار المواضيع التي تجاهلت الثورة إنما تتجاوب معها، محاولة منها لتجنب الاصطدام مع الإدارة الاستعمارية حتى لا تقوم هذه الأخيرة بحل الجمعية، وهو ما سيؤدي إلى إيقاف مسارها في التربية والتعليم والإصلاح الديني والاجتماعي، وإذا ما سلّمنا أن المدني هو المسؤول على كتابة الافتتاحية، فإن التبريرات كانت كفيلة بذلك[2].

ويذكر الباحث محمد بن ساعو، أنه في دراسة أكاديمية أورد أحد الباحثين إحصائيات هامة حول المواضيع التي تناولت الثورة التحريرية في جريدة البصائر من 05 نوفمبر 1954 إلى العدد 361 الصادر بتاريخ 06 أفريل 1956، وهو آخر عدد للبصائر خلال الثورة التحريرية، وكانت نتائج الدراسة التي توصل إليها كما يلي[3]:

الاتجاه	التكرار	النسبة المئوية
مؤيد	85	%52.46
معارض	03	%01.85
محايد	74	%45.67
المجموع	162	%100

جدول يبين اتجاهات المواضيع التي تناولت الثورة التحريرية في جريدة البصائر بين نوفمبر 1954 وأفريل 1956

[1]- البصائر: لا رجوع إلى الوراء، العدد232، 9 سبتمبر 1955، الجزائر، ص1.

[2]- محمد بن ساعو: المرجع السابق، ص90.

[3]- نفسه، ص91.

ومن هذا الجدول يتبين لنا أن نسبة المعارضة ضئيلة جدا مقارنة بتأييد الصورة أو عدم الخوض في مواضيعها، وهذا دليل على أن جريدة البصائر لم تقف في وجه الثورة، ولكن غلب عليها طابع التجاهل، وذلك راجع إلى تفادي التصادم مع الإدارة الاستعمارية.

المطلب الثالث: التحاق المدني بالثورة

كانت جبهة التحرير الوطني قد دعت في نداءها الأول جميع الجزائريين إلى المشاركة في الثورة المسلحة، وأن تكون مشاركتهم بشكل أفراد، لا بشكل منظما وأحزاب، إيمانا منها بوحدة الصف لمجابهة العدو المشترك، فقد جاء في نظامها الداخلي: «أن الانضمام إلى الجبهة يتم شخصيا» وهو «يتعارض مع الانتساب إلى أية منظمة أخرى»، وبذلك تكون المنظمات والأحزاب قد وافقت على حل نفسها ودعوة أعضائها إلى الانضمام –بصفة فردية– إلى جبهة التحرير الوطني[1]، وتوجب على قيادة جبهة التحرير، ومن أجل مجابهة العدو تدعيم صفوفها بكفاءات سياسية وفكرية مؤهلة لمخاطبة الأنظمة السياسية في العالم والجماهير، والتعريف بالقضية الجزائرية.

وبالنسبة لشخص توفيق المدني فإنه ومنذ إعلان الجمعية التحاقها بالجبهة في بداية سنة 1956، أصبح مركز بريد الجبهة الداخلي، وسيلة للاتصال بين مركز القيادة بالعاصمة، وبين بقية جهات المعركة والقيادات الفرعية، ومن بين الشخصيات التي كانت تحمل البريد: ساطور، الشيخ حمزة بوكوشة، الشيخ أحمد سحنون، الشيخ الجيلالي الفارسي، الشيخ مصباح الحويذق، وغيرهم من رجال الجمعية الأمناء[2].

وحسب توفيق المدني فإنه كان يتوق إلى الجهاد والالتحاق بميدان التضحية والكفاح، لكن سنه الذي قارب الستين سنة لا يسمح له بذلك، وخاطب رجال في الجبهة بهذا الشأن ولكن كان ردهم «أنت مجاهد تحت تصرف الجبهة، فابق حيث وضعتك الجبهة، وإذا ما رأت الجبهة نقلك إلى مركز آخر من مراكز النضال فكن مستعدا»[3].

---

[1]– عقيلة ضيف الله: المرجع السابق، ص ص 300–301.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 65–66.

[3]– نفسه، ص ص 146–147.

وكان المدني مستعدا للقيام بواجبه، ينتظر الإشارة من جبهة التحرير، وهذا ما أكدته الوثائق الأرشيفية، في رسالة عبان رمضان إلى الوفد الخارجي بالقاهرة التي أدرجها مبروك بلحسين في كتابه مراسلات بين الداخل والخارج، وتحمل الوثيقة الرقم 28 المؤرخة في 13 مارس 1956 ونصهما كما يلي: «إن الشيخ عباس العائد من القاهرة أعلمنا أنكم ترغبون في قدوم شخصيات إلى القاهرة للعمل معكم، شخصيات من أحباب البيان منهم فرحات عباس، ومن جمعية العلماء، هل هذا صحيح؟ لقد اتصلنا فورا بجمعية العلماء وأحباب البيان، إن الأوائل مستعدون من الآن لإرسال الشيخ عباس وتوفيق المدني للعلم معكم تحت تسمية جبهة التحرير الوطني، ويكونان عضوين في وفد (ج ت و) في الخارج»[1].

وفي لقاء بين توفيق المدني وعبان رمضان في بيت عباس التركي كلفه فيه عبان بالالتحاق بالوفد الخارجي في القاهرة، وكانت فرحته شديدة، وكذلك الحال بالنسبة لرجال الجمعية وعلى رأسهم الشيخ العربي التبسي، حيث يقول المدني: «... فكان أول المتكلمين هو الشيخ العربي التبسي –رحمه الله–، وقال والدمع يترقرق بين جفنيه، والله لو استطعت الزغاريد كالنساء لانطلق صوتي مدويا إلى أن يبلغ الشارع...»[2].

وبينما نجد أن هذا الاستعداد للالتحاق بالثورة غير موجود حينما نقرأ ما جاء على لسان محمد خير الدين في كتاب التحريف والتزييف لكاتبه محمد الطاهر فضلاء، وهذا نصه: «لقد ذهبت إلى "توفيق" في مكتبه بشارع لالير وأعلمته بأمر قادة الثورة بالالتحاق بصفوف الجبهة في القاهرة، للمساهمة في أعمالها خارج الوطن، وأمرته بالاستعداد للسفر فورا فتلكأ كثيرا، واعتذر عن السفر، بارتباطاته العائلية والشخصية...»[3]، وحسب محمد خير الدين فإن المدني لم يكن مستعدا للقيام بواجبه، وأنه غير مستعد، وهو من أقنعه بالالتحاق بالوفد الخارجي بالقاهرة. وما يهمنا هنا هو التحاق المدني بالوفد الخارجي سواء كان مستعدا أم لا.

---

[1]– مبروك بلحسين: المصدر السابق، ص166.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص148.

[3]– محمد الطاهر فضلاء: المرجع السابق، ص116.

كانت المرحلة الأولى من رحلته إلى باريس، وكان متابعا من طرف المخابرات الفرنسية، ولكنه نجح في استعمال حيلة لتضليلها، فقد استعان بصهره الطبيب من أجل تلفيق كشوفات وتقارير طبية مزورة عن صحة زوجته التي رافقته في سفره إلى باريس، وكان هذا هو عذره الذي تحجج به في السفر إلى فرنسا[1]، كان الوصول إلى باريس بتاريخ 16 مارس 1956، ثم انتقل إلى سويسرا بعد أن ودع زوجته العائدة إلى الجزائر[2]، وهناك اجتمع في 10 أفريل* من نفس العام بكل من فرحات عباس وأحمد فرنسيس بالإضافة إلى مرافقة الشيخ عباس بن الشيخ الحسين.

بتاريخ 16 أفريل قامت الشرطة السويسرية بالتحقيق مع المجموعة بشأن الاجتماع الذي تم بينهم، وبعد تدوين تصريحاتهم أفرجت عنهم[3]، وفي ذلك اليوم المصادف لأول أيام شهر رمضان سافر كل من توفيق المدني وعباس بن الشيخ الحسين على متن الطائرة إلى القاهرة[4].

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص150.

[2]– نفسه، ص154.

* بينما يذكر المدني في كتابه حياة كفاح الجزء الثالث، أن تاريخ الاجتماع تم في نفس يوم الاستجواب من طرف الشرطة السويسرية أي يوم 12 أفريل 1956، ينظر: (المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص156).

[3]– عبد الله ريفي: أحمد فرنسيس (1910–1968) دكتور في السياسة، تر: عمار زروقي محمد، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص102.

[4]– المدني:حياة كفاح ج3، المصدر السابق، ص158.

المبحث الثاني: النشاط السياسي لجبهة التحرير وأثرة على الثورة (1956-1958)

مع تزايد نشاط الثورة داخل الجزائر، وتأكيد شعبيتها لا سيما بعد هجومات 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني أضحت الحاجة ملحة إلى تجنيد كل الفئات الوطنية وهي إستراتيجية تبنتها جبهة التحرير الوطني، حيث دعت الجميع إلى الانضواء تحت لوائها، وكان لزاما على القيادة تدعيم صفوفها بكفاءات سياسية وفكرية تمكنها من إيصال صوت الثورة التحريرية إلى العالم.

المطلب الأول: التشكيلة الثانية للوفد الخارجي وأهم النشاطات

وفعلا بدأ توافد الجزائريين إلى القاهرة، حيث وصلها نهاية أفريل 1956 كل من فرحات عباس وأحمد فرنسيس من حزب البيان، وعبد الرحمن كيوان* من حزب الشعب، والشيخ عباس بن الشيخ الحسين وأحمد توفيق المدني من جمعية العلماء[1]، وبهذا تعد القاهرة مركزا هاما للنشاط الدبلوماسي والسياسي للثورة الجزائرية، كما شكلت نقطة التقاء مهمة للوفد الخارجي، وقاعدة له ولنشاطاته، وهذا ما أكده المدني بقول: «هي اليوم مركز وفدنا الخارجي ونصيرتنا الأولى ممدتنا بالسلاح والعتاد»[2].

وعند تدعيم الوفد الخارجي بالقاهرة بشخصية أحمد توفيق المدني، فيرى أبو القاسم سعد الله، أن جبهة التحرير الوطني قد أحسنت الاختيار بهذا القرار فالرجل يتوفر على مميزات عديدة جعلته يملأ الفراغ القائم، ويتصدى لمخاطبة الأمة العربية[3].

عند استقرار أحمد توفيق المدني بالقاهرة وقف على ضعف التنسيق بين أعضاء الوفد، خاصة بين محمد خيضر وأحمد بن بلة، كما لاحظ أن الأمور ليست على ما يرام، علاوة على

---

* من مواليد 1925 بالجزائر تقلد العديد من المناصب، عضو في MTLD, PPA، اعتقل في نوفمبر 1954 وأطلق سراحه سنة 1955، شارك في المفاوضان عام 1956، سفيرا للحكومة المؤقتة في بكين عام 1961، للمزيد ينظر: (محمد حربي: الثورة الجزائرية...، المصدر السابق، ص184).

[1]- كريمة عرعار: دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، باتنة، 2006، ص170،بالنسبة للنشاط الصحفي ينظر الملحق رقم 04

[2]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص161.

[3]- عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص327.

المشاحنات والتوتر في العلاقات الشخصية بين محمد خيضر والأمين دباغين، ومما جاء به المدني «علمت من أقوال خيضر الحادة، أن بين الرجلين خلافا عميقا وأن العمل بينهما يكاد يكون مستحيلا، وأن الدكتور الأمين يوجد في عزلة غريبة...» ومنذ ذلك الحين أخذ المدني يبذل أقصى جهده لإصلاح الحالة وربط الصلة بين الأعضاء.

تتبعا لمصاف الخلافات والأوضاع المتردية التي طالت الوفد يذكر المدني أن الأمين دباغين أضفى له عن هذه الحالة بقوله: «أنه ليس مرتاحا لنظام الوفد في حالته الحاضرة، حيث يستأثر ابن بلة ومحمد خيضر كل في ناحيته بجزء من أعمال الوفد، أما بقية الرجال فهم أشبه بكميات مهملة»[1].

إن هذا الصراع الذي أخذ يقلق قادة الثورة في الداخل قد أكده فرحات عباس الذي شعر بالصدمة بعد انتقاله إلى القاهرة سنة 1956 لما شاهده من مشاحنات على مستوى القصة، محملا مسؤوليتها لأحمد بن بلة[2].

الحقيقة أن نشاط المدني ضمن الوفد الخارجي، قد توزع على العديد من الجبهات فكان لا بد من إعادة تنظيم سير أعمال الوفد، وتحريك الآلة السياسية والدبلوماسية للثورة والإعلام والدعاية، ومنذ 20 أفريل 1956 بدأ الوفد يعقد اجتماعاته الدورية لضبط الأمور، حيث انعقد ظهر يوم السبت 21 أفريل 1956 اجتماع* برئاسة الدكتور الأمين دباغين وأمانة توفيق المدني[3].

وفي هذا الاجتماع اقترح المدني منهاج تمت المصادقة عليه من طرف محمد خيضر والحضور، والذي خرج بالمقررات التالية[4]:

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص171.

[2]– عبد القادر خبيفي، المرجع السابق، ص ص 161–162.

* شارك فيه كل من فرحات عباس، أحمد فرنسيس، أحمد بن بلة، محمد خيضر، أحمد بودع، العباس بن الشيخ الحسين، أحمد بيوض، محمد بوجملين، بالإضافة إلى الدكتور الأمين دباغين وتوفيق المدني، للمزيد ينظر: (المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص178).

[3]– عبد الله ريغي: المرجع السابق، ص104.

[4]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص179.

- أن يجتمعوا بنظام اجتماعات دورية متواصلة.
- أن يقول كل فرد خلال هذه الاجتماعات الدورية بكل ما يعرف وأن يعرض كل ما عمل.
- أن يحرروا مضابط جلسات تسجل فيها كل ما اتخذ من قرارات.
- أن يقسموا إلى لجان مالية، سياسية ولجنة للسلاح.
- تعيين مسؤولا أو مسؤولين من أجل الاتصال المنظم مع المصريين.
- يجب أن يجعلوا علاقاتهم مع إدارة الثورة بالجزائر منظمة، متواصلة وسريعة.

وعلى وقع هذه القرارات التي كان لها أهمية كبيرة، نلاحظ أن المدني أعطى للثورة بعدا جديدا ووزنا سياسيا، وذلك من خلال إعادة تنظيم سير الأعمال، بما يتوافق مع المنهاج الذي وضعه، ومن بين النشاطات التي قام بها الوفد:

أولا: النشاطات الدعائية:

تم التحضير لندوة صحفية سيدلي فيها فرحات عباس بانضمامه رسميا لجبهة التحرير بالقاهرة، وجرت الندوة يوم الأربعاء 25 أفريل 1956[1] بفندق sémiramis بحضور 50 صحفيا يمثلون مختلف وسائل الإعلام العالمية، فكان الخبر الوحيد بالنسبة للصحفيين الحاضرين، إعلان زعيم البيانيين انضمامه لجبهة التحرير الوطني[2].

وبشأن أعمال الدعاية والإعلام يذكر أبو القاسم سعد الله بأنها مرت بثلاث مراحل:

أ- المرحلة الأولى: تمتد من فاتح نوفمبر 1954 إلى ديسمبر 1956 وتميزت بالاعتماد شبه الكلي على ما كانت تبثه إذاعة صوت العرب بالقاهرة.

ب-المرحلة الثانية: تبدأ من مؤتمر الصومام وتميزت بنشاط إعلامي بجهود وطنية جزائرية منذ 1956 بإنشائها "صوت جبهة وجيش التحرير" من الإذاعة الوطنية السرية المتنقلة والتي اعتمدت على وسائل بدائية.

---

[1]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص179.

[2] -!benjamin stora, ZAKYA Daoud : Ferhat Abbas une autre algérien, édition casbah, Alger, 1995, P250.

ت-المرحلة الثالثة: فقد بدأت بافتتاح "صوت الجزائر" في كل الإذاعات العربية تقريبا، فكان صوت الجزائر من إذاعة القاهرة، تونس، بغداد، عمان، الكويت، جدة، طرابلس، بنغازي، وكان أعضاء الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني والطلبة الجزائريون هم الذين يقومون بإعداد البرامج وإذاعتها من "صوت العرب"، وكان فريق القاهرة أكثرها إمكانات للتمركز الكبير للسياسيين والمثقفين الجزائريين، وأشرف على "صوت الجمهورية الجزائرية" في البداية توفيق المدني بمساعدة فريق من الطلبة وأعضاء الوفد الخارجي[1].

ثانيا: النشاط العسكري:

في 27 أفريل 1956 انعقد اجتماع لجنة السلاح حضره كل من محمد خيضر وأحمد فرنسيس، عباس فرحات، أحمد بودع، عرض فيه المدني القرارات المنبثقة عن اللجنة الفرعية للأسلحة والتي قررت:

- السعي لربط الصلة بالحكومة التونسية حالا وذلك من أجل السماح بدخول السلاح الجزائري إلى تونس رسميا.
- السعي لدى مصطفى بن حليم رئيس حكومة ليبيا لكي يسمح بتمرير السلاح عبر الحدود الجنوبية للجزائر.
- العمل على إيجاد سفينة على الموانئ التركية والاتفاق معها على نقل الأسلحة التي وضعتها سوريا تحت تصرف الوفد الخارجي[2].

نوقش هذا الاجتماع من قبل أعضاء الوفد، وتمت المصادقة عليه من طرف الجميع، وتم إيفاد كل من المدني والأمين دباغين إلى طرابلس لمناقشة الخطط العملية لمرور السلاح مع كل من مصطفى بن حليم وقائد الطيران الليبي، ومسؤول مطارات الجنوب، كما تسنى للوفد إثر هذه الزيارة مقابلة الملك إدريس السنوسي بتاريخ 13 جوان 1956[3].

---

[1]- عمر بوضربة: المرجع السابق، ص105.

[2]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص214.

[3]- مريم الصغير: مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2012، ص 93-94.

من خلال ما أقره المدني عن وضعية الوفد الخارجي وأهم نشاطاته أنه كان يعقد عدة اجتماعات أسبوعيا لمتابعة بعض القضايا لإيجاد الحلول العملية للمسائل الشائكة، وفيما يتعلق بالعلاقات بين أعضاء الوفد الخارجي في هذه الفترة فقد اتسمت في كثير من الأحيان بالتوتر والشك والمنافسة وهذا ما أوضحه المدني، ويمكن إرجاع هذا الأمر إلى العديد من العوامل[1]:

- تدخل النظام المصري عن طريق مسؤولي المخابرات المكلفين بالاتصال بالثورة الجزائرية، وكانوا يفضلون التعامل مع أشخاص دون آخرين.
- اختلاف المشارب الفكرية وانتماءاتهم الحزبية القديمة، فكان من الطبيعي أن يكون هناك نوع من الحساسية عند مناقشة بعض القضايا والمسائل وبالتالي اختلاف في القناعات والآراء.
- الطموح الفردي الذي كثيرا ما يتم تبريره بأمور أخرى مثل الحرص على المصلحة العليا للثورة وتجنيبها مخاطر الانحراف عن المبادئ التي تأسست عليها جبهة التحرير، بالإضافة إلى الحزازات الشخصية بين الأعضاء، وأهم مثال على ذلك معارضة بن بلة لتقلد الأمين دباغين لمنصب مسؤول الوفد الخارجي، هذا الرفض استمر حتى بعد اختطاف الطائرة التي تقل الوفد.

المطلب الثاني: أهم النكبات التي واجهت الثورة

أثار المدني العديد من القضايا والحوادث التي كان لها أثر كبير على مسار الثورة، حيث عكف على ذكر النكبات التي عاشتها، والانعكاسات الإيجابية والسلبية التي ترتبت عنها، والتي بدورها أحدثت تغيير جذري، ومن بين هذه النكبات قضية اختطاف طائرة الزعماء، حجز السفينة آتوس، والنكبة الثالثة خاصة بالعدوان الثلاثي على مصر، حيث أطنب المدني في ذكر هذه الوقائع بصورة حية، أزاحت الستار على بعض الخلفيات التي صادفت الثورة[2].

أولا: حادثة اختطاف الطائرة (22 أكتوبر 1956) وانعكاساته على الثورة:

من بين العمليات العسكرية التي أعدت لها المخابرات الفرنسية ونفذتها السلطات الاستعمارية وقوات الجيش في الجزائر، عملية القرصنة الجوية التي قامت باختطاف الطائرة

[1]- عمر بوضربة: المرجع السابق، ص ص 107-108.

[2]- بكاكرية جودي: المرجع السابق، ص323.

المقلة لوفد جبهة التحرير الوطني، وذلك يوم 22 أكتوبر 1956، حيث تم إلقاء القبض على القادة الأربعة (أحمد بن بلة، محمد خيضر، حسين آيت أحمد، محمد بوضياف، ومعهم الصحفي مصطفى الأشرف) والذين كانوا متوجهين من المملكة المغربية إلى تونس لحضور الندوة التي تظم كل من الرئيس التونسي لحبيب بورقيبة*، والملك المغربي محمد الخامس، والوفد الجزائري، غير أن حادث الاختطاف قلب الموازين، وأحدث أزمة شديدة[1].

أما عن ظروف سفر هؤلاء القادة ووقوع عملية القرصنة الجوية ذكر المدني أنه قبل الحادثة بنحو أسبوع، اجتمع في 13 أكتوبر 1956 بمكتب العقيد فتحي الذيب المكلف بملف الثورة الجزائرية لدى الاستخبارات المصرية، كل من أحمد بن بلة، ومحمد خيضر، زيادة على شخصه، وخلال هذا اللقاء جرى إبلاغ المسؤول المصري بسفر الرجلين إلى المملكة المغربية، وهو الأمر الذي حذر منه فتحي الذيب المتكلم بلسان جمال عبد الناصر، لكن بن بلة أصر على موقفه وقرر الذهاب[2].

وبالنسبة لموقف المدني من هذه الحادثة، فيذكر أنه واجهها بصمود وثبات وكان رده على الرئيس المصري بشأن ذلك «الثورة سيادة الرئيس ثورة شعب، لا ثورة أفراد، الأفراد يموتون ويؤسرون لكن الشعب لا يزاد إلا صمودا وثباتا، إذا وجد المدد، ووجد السلاح...»[3]، ونفس الموقف وقفه فرحات عباس، وكان رده «إن اعتقال أو موت قادة الانطلاقة الأولى لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنقص من عزيمة شعب بأكمله...، وفي نظرنا فإن قرصنة 22 أكتوبر إنما كانت مجرد حادث عابر أثارنا لكن بدون أدنى قلق»[4].

---

* من مواليد 03 أوت 1903 بحي الطرابلية بالمنستير بتونس، انتقل إلى تونس ليكمل تعليمه، نال شهادة المحاماة، عاد إلى تونس سنة 1949 ليواصل نضاله ضد السلطات الفرنسية، اعتقل وتنقل بين السجون، رئيس حكومة تونس سنة 1956، ثم رئيس للجمهورية التونسية سنة 1957، تم تنحيته من الحكم سنة 1987، توفي في 06 أفريل 2000، للمزيد ينظر: (راغب السرجاني: قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011، ط1، القاهرة، 2011، ص ص 34..36.

[1]- زهير إحدادن: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص34.

[2]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص309.

[3]- نفسه، ص312.

[4]- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص112.

وبشأن الفراغ الذي تركه القادة المختطفين، ذكر المدني أنه وجد نفسه إزاء هذه المحنة وحيدا يباشر مهام البعثة، من أعمال واتصال، في غياب البقية، واعتبارا لذلك قام المدني بالتنسيق مع القيادة المصرية التي يمثلها كل من فتحي الذيب وعزت سليمان، بتحليل الأوضاع والتباحث في الأمر، واتفق معهم على تحديد مخطط هدفه الحفاظ على معنويات أفراد جيش التحرير، وضرورة مواصلة الكفاح، ومن بين المناهج التي سطرت من أجل التنديد بهذه العملية[1]"

1) إرسال برقيات احتجاج إلى السلطات المغربية والتونسية لمطالبتها بالتدخل العالج.

2) إبلاغ الجامعة العربية بالقاهرة بأن هذا الحادث لا يؤثر في سير الكفاح ومطالبة الحكومات العربية بإعلان تضامنها.

3) ضرورة عقد الندوات الصحفية والشعبية في القاهرة، وبقية الدول العربية من أجل استثمار الموقف.

وقام المدني يوم 23 أكتوبر 1956 بإذاعة بيان الجبهة وجيش التحرير عبر أمواج إذاعة "صوت العرب"، غير أن حادث اختطاف الطائرة كما كان له أثار سلبية، إلا أنه تضمن أيضا آثارا إيجابية تمثلت في تأجيل انفجار أزمة الصراع، وأخذها أبعادا قد تكون غير مأمونة العواقب على الثورة، خاصة أن الحادث جاء بعد انعقاد مؤتمر الصومام الذي فجر الصراع بين الداخل والخارج[2].

وفي نظر المدني فإن إبعاد كل من أحمد بن بلة –بالخصوص– والبقية عن ساحة المعركة كان حتما لصالح الصورة التحريرية، ولو نجح انعقاد الندوة بتونس لتمخض عنه قرارات ستصب في اتجاه غير الاستقلال التام[3].

[1]– فتحي الذيب: المصدر السابق، ص269.

[2]– عمر بوضربة: المرجع السابق، ص110.

[3]– نفسه، ص111.

ثانيا: حادثة حجز المركبة آتوس (16 أكتوبر 1956):

اتخذ اسم آتوس شهرة دولية، واعتبرتها الحكومة الفرنسية السلاح الخطير والهام الذي ستدين به الحكومة المصرية، وقيادتها بالتدخل في شؤون شمال إفريقيا، ودعم الثورة التحريرية، ونظرا لما ترتب على وقوع هذه الحادثة، نجد المدني قد سلط الضوء بشأنها والظروف التي أحاطت بها، حيث أنه وفي خضم تلك الحوادث الرهيبة، تتابعت الأنباء المزعجة عن حجز الفرنسيين في ناحية وهران للسفينة الكبرى "آتوس" التي اشتغل المصريون واشتغل الجزائريون بشحنها مدة لا يستهان بها، ووضعوا بها كميات عظيمة من الأسلحة المختلفة ومن الذخيرة على اختلاف أنواعها [1].

تمت تعبئة الشحنة في السفينة صباح يوم 04 أكتوبر 1956، الذي غادر الإسكندرية، وكان من المنتظر أن يصل المركب إلى خليج كابوديو "Cabodio" وهو مكان الإنزال، إلا أن السلطات الفرنسية تمكنت من توقيف المركب، وتم اقتياده إلى قاعدة المرسى الكبير[2].

وبشأن الحمولة وكمية الأسلحة والذخيرة، خصص المدني في كتابه جدولين، وعدّد من خلاله كمية السلاح والذخيرة، ونوع كل منهما، وعن كيفية اكتشاف السفينة يذكر المدني: «لقد ثبت الآن أن الفرنسيين كانوا عالمين بتجهيز السفينة»[3]، ويدعمه في ذلك القول ما ذهب إليه فتحي الذيب حيث ذكر أن قائد السفينة إبراهيم النيال، كان تابعا للجاسوسية الفرنسية، وأنه هو الذي أخبر الفرنسيين بإشارة خاصة، عندما اقتربت السفينة إلى حد ما من الساحل الجزائري[4].

وكان موقف فرنسا عدائيا، أين بعثت احتجاجا صارخا إلى مجلس الأمن يوم 26 أكتوبر، تشكو فيه مصر، وكانت عازمة على ضرب مصر بعد أيام قليلة وفي سرية تامة[5].

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص321.

[2]– حفظ الله بوبكر: التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954–1962، م وف م، الجزائر، 2009، ص ص 336–337.

[3]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص324.

[4]– فتحي الذيب: المصدر السابق، ص ص 259–260.

[5]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص325.

ثالثا: العدوان الثلاثي على مصر (29 أكتوبر 1956):

مع تزايد وتيرة العدوان الفرنسي على الجزائر، في خطوة تعكس التخبط والفشل الذريع في ميدان القتال، هذا الأمر دفعها إلى ارتكاب جملة من العمليات كان على رأسها الاعتداء الثلاثي على مصر سنة 1956، في محاولة الضغط على الحكومة المصرية لكي تعدل على نحو نهائي عن دعم ومساندة الثورة[1].

وحسب المدني كان الهجوم الذي اتفق عليه "إيدن" رئيس وزراء إنجلترا وحكومة فرنسا، وحكومة إسرائيل الدعية المصطنعة، وفي ظل هذه العمليات يضيف المدني أن فرنسا من وراء هذا الهجوم تريد حماية مصالح بنوكها ومموليها الذين كانت شركة قناة السويس تدر عليهم كل سنة أرباحا معتبرة، حرموا منها بواسطة التأميم، وقد كانت تريد أكثر من ذلك، حيث من مقاصدها ضرب مصر ضربة قاسية من أجل الاحتفاظ بالقطر الجزائري قطعة من فرنسا [2].

والسبب الحقيقي هو ما أعلنه رئيس الحكومة الفرنسي خلال شهر جانفي من سنة 1957 أمام مجلس الأمة بباريس: «**أن رأس الثورة الجزائرية هو مصر، فبضرب الرأس تنتهي الثورة وتطمئن فرنسا على جزائرها**»[3].

ومع أعقاب العملية العدوانية على مصر، ذكر المدني أن هذه الأخيرة أُقدمت على اتخاذ إجراءات جريئة رغم خطورة الموقف عكست كل التوقعات، حيث أظهرت مصر شعبا وحكومة على حد تعبير المدني شجاعة كبيرة، ووقع ما لم يكن في الحسبان ونجحت حسابات عبد الناصر وجماعته نجاحا غير متوقع[4].

وعن تأثير هذا الحادث على الثورة التحريرية يذكر المدني «واجهتنا صعوبة أخرى عظيمة، عاقت أعمالنا مدة قصيرة من الزمن، ألا وهي وقوع العدوان الثلاثي الإجرامي على

---

[1]– جمال قندال: إشكالية تطور وتوسع الثورة الجزائرية 1954–1956، ج2، ط1، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 113–114.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص325.

[3]– أحمد سعيود: العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني 1954–1958، ط1، دار الشروق، الجزائر، 2009، ص67.

[4]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 328–330.

مصر في أواخر أكتوبر 1956، وحالة الحرب التي وقعت فيها البلاد المصرية، وانقطاع المواصلات الجوية والبرية والبحرية بيننا وبين الخارج... لم يمكنا في تلك الأثناء أن نطلب من المصريين المدد واستئناف الإرسال»[1].

ومن بين ردود الفعل إزاء هذا، وقوف هيئة الأمم المتحدة موقفا صارما من العدوان وإدانته وكذلك كان موقف الرئيس الأمريكي إيزنهاور، وبدوره أعلن رئيس مجلس السوفيات خروتشوف استنكاره لهذا العدوان، وسيكون مضطرا لاستعمال قوته العسكرية برا وجوا وجاءت ساعة الحسم الأخيرة حيث ذكر المدني أنه في 31 ديسمبر 1956، استعادت مصر سيادتها على أرضها، وأثبتت أن القناة ملكها دون منازع، واستعدت لتنفيذ الإصلاحيات الكبرى، وأحرزت الجزائر من وراء ذلك نصرا عظيما، والواقع أن مصر رغم تعرضها لهذا العدوان الثلاثي بقيت متمسكة بموقفها من الثورة الجزائرية، وبقيت تدعمها بمدها بالسلاح ومساندتها في المحافل الدولية[2].

المطلب الثالث: مؤتمر الصومام وتداعياته

إن فكرة عقد مؤتمر وطني بشأن تنظيم الثورة التحريرية، كانت فكرة مجموعة الستة، في آخر اجتماع لهم في الجزائر العاصمة بتاريخ 23 أكتوبر 1954 ونظرا للظروف الصعبة التي مرت بها الثورة تأجل هذا العمل[3]، ولكن هذه الفكرة تم طرحها من جديد من طرف زيغود يوسف سنة 1955 وسعى إلى تحقيقها، حيث قام بإعداد رسالة شاملة يقترح فيها عقد مؤتمر وطني تحضره مختلف المناطق[4]، واقترح منطقة شبه جزيرة القل لاحتضانه، ولكن في الأخير تم الاتفاق على أن يكون ذلك في منطقة الصومام بالمنطقة الثالثة[5]، وهو ما حدث فعلا بمنطقة إيفري ببجاية في 20 أوت 1956، ودامت أشغاله إلى التاسع عشر سبتمبر 1956[6]،

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق ، ص496.

[2]– نفسه، ص330.

[3]– إبراهيم لونيسي: الصراع السياسي داخل جبهة التحرير الوطني خلال الثورة التحريرية 1954–1962، ط1، دار هومه، الجزائر، 2015، ص33.

[4]– نفسه، ص51.

[5]– نفسه، ص34.

1956[1]، وبشأن هذا المؤتمر يذكر المدني «اجتمع رجال الثورة الجزائرية تحت خطر عظيم واخترقوا صفوف الأعداء الساهرين... وأخرجوا الثورة الجزائرية منذ ذلك اليوم من عهد يمكن أن يوصف بشيء من الارتباك في القيادة والاضطراب في السياسة إلى عهد نظام واستقرار، ووحدة وتحديد مسؤولية...»[2].

وكذلك يرى المدني أن المؤتمر نبذ بشكل صريح السلطة الفردية على جميع المستويات من خلال القرارات التي تمخضت عنه، فعمل على ترسيخ مبدأ القيادة الجماعية، وهذا لاقتناعهم الشديد بأن الإدارة الجماعية تجنب الوقوع في الأخطاء الشخصية والزعامات الفردية ويؤكد المدني ذلك بقوله: «منذ تلك الساعة أصبحنا نعرف من المسؤول... فالجميع خضع لسلطة مركزية واحدة وأصبحنا في القاهرة نعلم من نحن... ونعلم ما هي وظيفتنا، ونعرف خصوصا لمن نحن تابعون، ووضحت أمامنا معالم الطريق»[3].

غير أن هناك رأي مخالف عما ذهب إليه المدني بشأن مؤتمر الصومام، ويتجسد ذلك الرأي في نظرة أحمد بن بلة، الذي اعتبر أن المؤتمر طعنة في خاصرة الثورة الجزائرية، وذلك راجع لمشكل التمثيل الذي طرح العديد من الاستفهامات، حيث يذكر بن بلة «كنت أعتقد أن الثورة ضاعت، وكتبت للجماعة في داخل الجزائر طلبت منهم ألا يعلنوا هذه المقررات*؛ لأن الاجتماع لم يضم جميع الولايات... وأعتقد أن مؤتمر الصومام كان هدفه سحب البساط من أقدامنا لذا أستطيع أن أقول أن المؤتمر كان بداية الانحراف للثورة الجزائرية»[4].

---

[1]– عبد المجيد بلخروبي: ميلاد الجمهورية الجزائرية والاعتراف بها، تر: العربي بونيون، دط، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص114.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص332.

[3]– نفسه، ص333.

* تجدر الإشارة أن رد فعل بن بلة عند استلامه الأرضية السياسية ومحضر اجتماع 20 أوت وكذلك رسالة توضيح من عبان رمضان، طلب بصيغة أخوية من القيادة التنفيذية لجبهة التحرير الوطني تأجيل نشر القرارات إلى غاية حصول مواجهة بين وجهات النظر لجميع الإخوة، للاستزادة ينظر: (مبروك بلحسين: المصدر السابق، ص ص 55–56).

[4]– أحمد منصور: الرئيس أحمد بن بلة يكشف أسرار ثورة الجزائر، ط2، دار الأصالة، الجزائر، 2009، ص ص 127–130.

ولإبراز موضع الخلافات ذكر المدني: «منحت أولوية السياسي على العسكري، وفي مراكز القيادة يتعين على القائد العسكري السياسي أن يسهر على حفظ التوازن بين جميع فروع الثورة»[1]، وبسبب تداخل العمل السياسي والعسكري وصعوبة الفصل بينهما يذكر سعد دحلب: «إن مشكلتنا كانت سياسة وعلى ضوء الأهداف السياسية، كان دوما يواصل أن يوقف العمل العسكري، مما يثبت مرة أخرى الحقيقة في أن رئيس الولاية كان سياسيا وعسكريا، ومن هنا فلم يكن لهذا النزاع الوهمي أن يوجد»[2].

في حين أن بعض العسكريين ذهبوا بعيدا بشأن هذا المبدأ وعلى رأسهم علي كافي* الذي يرى بأن الذين سعوا إلى تكريسه، كان هدفهم الأول والأخير هو القضاء على الثوريين الحقيقيين وفي طليعتهم جيش التحرير، وتكريس فكرة التفاوض، مع العلم أن عبان رمضان هو الذي اقترح فرحات عباس والشيخ عباس بن الشيخ الحسين عضوين في المجلس الوطني للثورة، ويضيف بأن عناصر من هذا التيار استعملت غطاء الوحدة الوطنية، سعيا لاستقطاب ساسة محترفين من مختلف التيارات، وبالتالي العودة بالثورة تدريجيا إلى الكفاح السياسي ومواصلة طريق التفاوض[3].

نظرا لهذا التباين في الآراء حول المبادئ الهامة التي وضعها المؤتمر يتضح من خلال ما ذكره المدني، أن كل هذه المبادئ لم تكن إلا منطلقة من صميم واقع الثورة الجزائرية، إذ أن الحكم الفردي وعبادة الشخصية قد تم رفضها، أما أولوية القيادة السياسية على العسكرية، فإن الثورة ذات أهداف سياسية واضحة، والعمل العسكري غايته تقريب الهدف السياسي، وأولوية

---

[1]– تيز ميلود: المرجع السابق، ص ص 59..81.

[2]– سعد دحلب: المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، ط خ، دحلب للنشر والتوزيع، دت، ص31.

* من مواليد 07 أكتوبر 1928 بولاية سكيكدة، التحق عام 1946 بمعهد الكتانية بقسنطينة ثم إلى الزيتونة في 1950، التحق بالثورة في بداية سنة 1955 في الولاية الثانية، شارك في مؤتمر الصومام، وكان ضمن اجتماع العقداء العشرة سنة 1959 كقائد للولاية الثانية توفي في 16 أفريل 2013، للمزيد ينظر: (محمد علوي: قادة ولايات الثورة الجزائرية 1954–1962، ط1، دار علي بن زيد للنشر، الجزائر، 2013، ص ص 76...78.

[3]– علي كافي: من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946–1962، ط1، دار القصبة، الجزائر، 1999، ص103.

الداخل على الخارج يؤكد أن الثورة الجزائرية تعتمد على نفسها بالدرجة الأولى، وأما الكفاح المسلح داخل الجزائر وحده كفيل بتحرير البلاد[1].

كما عرج المدني إلى ذكر الحالة السياسية الراهنة التي نوه من خلالها بنشاط جيش التحرير الوطني كما جاء على لسانه قائلا: «فمن الأمور التي لا ينكرها أحد أن نشاط جيش التحرير الوطني قد قلب الجو السياسي في الجزائري»[2]، ومن خلال ذلك يتضح أن الوثيقة السياسية لمؤتمر الصومام كانت بمثابة الدستور الذي نظم شؤون الشعب وثورته، وضبط السياسة الداخلية والخارجية لجبهة التحرير الوطني، وساهم في تدويل القضية الوطنية لكسب الاعتراف الدولي بها[3].

يتضح مما تقدم أن مؤتمر الصومام بالنسبة للمدني، كان ضرورة لتقييم ووضع الخطوط العريضة لمواصلة الكفاح المسلح، والتخطيط للحل السلمي من أجل استرجاع السيادة الوطنية، كما كان إجراء حتميا لتزويد الثورة بقيادة وطنية موحدة، وتوحيد النظام العسكري، وتحديد المنطلقات التي تتحكم في مسار المعركة وتوجهها[4]، وبهذا استطاعت الثورة الجزائرية من خلال مؤتمر الصومام أن تشرع ميثاقا حقيقيا بغض النظر عما نتج عنه من تداعيات وتباين في المواقف[5].

المطلب الرابع: التشكيلة الثالثة للوفد الخارجي وأهم نشاطاتها

تماشيا مع تطورات الثورة، ووفقا لمبدأ تطوير أسلوب العمل بشكل دائم ارتأت قيادة الثورة ضرورة توسيع دائرة نشاطها، وذلك من خلال تفعيل النشاط الدبلوماسي في مختلف الأقطار

[1]– أحمد حمدي: الثورة الجزائرية والإعلام، ط2، (ددن)، الجزائر، 1996، ص80.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص363.

[3]– تيز ميلود: المرجع السابق، ص84.

[4]– محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص79.

[5]– تيز ميلود: المرجع السابق، ص79.

سواء الإفريقية أو الآسيوية باعتباره هدفا خارجيا مكملا ومدعما للأهداف الداخلية ومن أجل حشد الدعم المادي والمعنوي[1].

بتاريخ 16 جانفي 1957 ذكر المدني أنه نشر تصريح يندد فيه بإصلاحات "غي مولي"، ثم سافر إلى تونس لتحضير إجراءات نقل السلاح، وفي شهر فيفري من نفس السنة التقى بالملك محمد الخامس في مدريد رفقة عبد الحميد مهري وسافر في نفس الشهر مع الأمين دباغين إلى تيطوان بالمغرب لبحث مشكلة سوء التفاهم الذي وقع بين المغرب وجبهة التحرير الوطني، وهذا بعد رواج فكرة أن الثورة شيوعية، فنجد المدني قد فند ذلك بقوله: «إن ثورتنا إسلامية مطهرة... وأن جيش التحرير يعتبر نفسه مجاهدا في سبيل الله... ولسنا شيوعيين..»[2].

وتقرر في الثامن من مارس 1957 تشكيل مكتب القاهرة التابع للبعثة الخارجية لجبهة التحرير الوطني، وقد تم تعيين المدني رئيسا للمكتب، وأحمد فرنسيس كاتبا منسقا، وبعضوية كل من العباس بن الشيخ الحسين وحامد روابحية* وعبد الرحمن كيوان، وقد حددت المهام وطريقة العمل[3].

ونظرا لأهمية ملف الجامعة العربية تم تكليف المدني بالاتصال بها وتمثيل وفد جبهة التحرير الوطني، وقد كان المدني يتمتع بقدرة على ربط العلاقات، إذ حضر أول اجتماع للجنة السياسية يوم 09 مارس 1957 حيث ألقى فيه كلمة باسم وفد ج ت و، وأرفقها برسالة إلى الأمين العام بجامعة الدول العربية تضمنت مسائل هامة[4] في مجال الدعاية وفي الميدان المالي والدبلوماسي، وبالنسبة لهذه النقطة الأخيرة أبلغ الوفد اللجنة السياسية لجامعة الدول

---

[1]– جمال قنديل: المرجع السابق، ص146.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص425.

* من مواليد عام 1918 بتبسة، تتلمذ في مدرسة جمعية العلماء المسلمين على يد الشيخ العربي التبسي، ثم واصل تعليمه بتونس، انخرط سنة 1944 في حزب الشعب، وانسحب منذ سنة 1949، التحق بالثورة في الجزائر ثم انتقل إلى القاهرة ضمن الوفد الخارجي، اشتغل بعد الاستقلال بقطاع التربية والتعليم إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1986 للمزيد ينظر: (عبد الوهاب شلالي: المنظمة الخاصة...، المرجع السابق، ص263).

[3]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص432.

[4]– عمر بوضربة: المرجع السابق، ص158.

العربية بأنه من المرتقب مناقشة القضية الجزائرية في شهر أكتوبر 1957 في دورتها الثانية عشر، ولهذا الغرض ستعزز ج ت و تواجدها بوفد هام يتشكل من فرحات عباس، محمد يزيد، الأمين دباغين، أحمد فرنسيس، مهري، محمد بن يحي، وبالتالي على الوفود العربية التي سوف تحضر الدورة أن تضم إليها هؤلاء سياسيا[1]، وأوصت بأن تجعل القضية الجزائرية محور نشاطها الدبلوماسي بالجمعية العام للأمم المتحدة، وأن تنسق جهودها مع الوفد، وكذلك تنبيه كل الحكومات العربية إلى ما تحاول القيام به الحركة المصالية MNA من نشاط دبلوماسي مناهض لجبهة التحرير الوطني[2].

في هذا الصدد يقول المدني: «فالقضية ليست قضية عواطف، بل قضية شعب ومصلحة عربية عليا، فلا بد من عدم قبولهم أو الاستماع لهم، لأن ذلك يساعد دعاية العدو، ويظهر أن هؤلاء الناس يمثلون شيئا ولو قليلا، والحقيقة تخالف ذلك»، والمعروف عن المدني أنه كان ضد هذه الحركة وشديد التذمر من زعيمها الذي كان يصفه بصفات التقمص والتغطرس[3].

وأشار المدني في كتابه لمختلف الزيارات في إطار المهام الدبلوماسية، إضافة إلى الندوات التي كان له الحظ الأوفر فيها، داعيا لدعم الثورة الجزائرية ماديا ومعنويا، حيث زار ما بين سنة 1956 إلى غاية سنة 1958 بمعية الوفد كل من ليبيا أربع مرات وسوريا والعراق مرتين، وتونس خمس مرات، والكويت ولبنان والسعودية والأردن والمغرب الأقصى وأندونيسيا وباكستان وماليزيا وسنغافورة[4]، وهذا ما يبرز المرحلة الثانية من نشاط الوفد الخارجي التي تميزت بتزايد مظاهر التنظيم، وكثافة النشاط الخارجي من خلال الحضور المكثف في المناسبات العربية والإقليمية والدولية، وكذا انتشار مكاتب جبهة التحرير الوطني التي ازداد عددها وهذا التطور في النشاط مرده إلى جملة من المعطيات أهمها:

---

[1]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص436.

[2]- عمر بوضربة: المرجع السابق، ص ص 140-141.

[3]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص458.

[4]- نفسه، ص ص 528-548.

- تراكم تجارب العمل الخارجي الدبلوماسي مع مرور الوقت لدى الجيل الأول فأصبح المبعوثون يكلفون رسميا من قبل مسؤول الوفد (الأمين دباغين) بعد موافقة لجنة التنسيق والتنفيذ CCE.

- التحاق كفاءات أثرت بتجربتها على العمل الخارجي للثورة وأعطته مصداقية، ومثل هذه الشخصيات تتجسد في شخص المدني الذي قام بدور فعال.

- تحسن الظروف الدولية والإقليمية، والتحاق الكثير من الدول حديثة الاستقلال بدعم حركات التحرر، ومؤشر ذلك تزايد الحضور الدولي للقضية الجزائرية سواء من خلال تسجيلها بشكل منتظم في جدول أشغال الجمعية العامة للأمم المتحدة بدءا من الدورة الحادية عشر[1].

يتضح مما تقدم أن النشاطات الدبلوماسية التي قام بها الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، وسعيهم من أجل كسب الدعم المادي والمعنوي للثورة، قد ساعد على تشكل الأرضية التي مهدت وهيأت الظروف لميلاد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية*.

[1]- عمر بوضربة: المرجع السابق، ص ص 206-207.

* سوف نتكلم على ظروف تشكل أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية، وأهم الصعوبات التي واجهتها في الفصل الثالث.

الفصل الثالث:

المدني ونضاله في الحكومة المؤقتة وجامعة الدول العربية

المبحث الأول: الحكومة المؤقتة الأولى للجمهورية الجزائرية (سبتمبر 1958- ديسمبر 1959)

المطلب الأول: التأسيس والصعوبات

المطلب الثاني: تعثر الحكومة المؤقتة الأولى

المطلب الثالث: ملخص أعمال وزارة الثقافة (أكتوبر 1950- نوفمبر 1959)

المبحث الثاني: التمثيل الدائم في جامعة الدول العربية وأهم القضايا

المطلب الأول: نضال المدني في جامعة الدول العربية

المطلب الثالث: مراحل المفاوضات بين فرنسا والجزائر

المطلب الثالث: المرحلة الانتقالية وأهم الأحداث

شهدت الثورة التحريرية في الفترة الممتدة من سنة 1958 إلى غاية سنة 1962 تطورات هامة، وأحداث بارزة، والتي تناولها المدني في مذكراته، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى التشكيلة الأولى للحكومة المؤقتة، وأهم الصعوبات التي واجهتها، وأهم أعمال وزارة الثقافة في هذه الفترة، بالإضافة إلى دور المدني في جامعة الدول العربية، وما شهدته هذه الفترة من أحداث بارزة، خاصة مرحلة المفاوضات وصولا إلى الفترة الانتقالية وإشكالية السلطة الشرعية، وذلك من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: الحكومة المؤقتة الأولى للجمهورية الجزائرية [سبتمبر 1958-جانفي 1960]

المبحث الثاني: التمثيل الدائم في جامعة الدول العربية وأهم القضايا

المبحث الأول: الحكومة المؤقتة الأولى للجمهورية الجزائرية

[سبتمبر 1958- ديسمبر 1959]

بمجيء الجنرال ديغول في شهر ماي 1958، كان لابد على قادة الثورة التحريرية مسايرة الوضع، وذلك من خلال إنشاء هيئة جديدة [ح.م.ج.ج]، بهدف كسب الدعم المادي والمعنوي على المستوى الدولي من جهة، وتولي مهمة التفاوض بهدف إضفاء طابع الشرعية على المستوى الدولي من أجل نيل الاستقلال من جهة أخرى، وقد كلف توفيق المدني بمنصب وزير للثقافة ضمن التشكيلة الأولى لها، لكن تعرضت هذه الأخيرة لمجموعة من الصعوبات والأزمات أدت إلى تعثرها، وإعادة تشكيلها من جديد.

المطلب الأول: التأسيس والصعوبات

من خلال هذا العنصر يتم التطرق إلى تأسيس الحكومة المؤقتة على اعتبار أن أحمد توفيق المدني كان أحد أعضائها، حيث عين كوزير للثقافة، وأهم الصعوبات التي واجهتها، وذلك من خلال ما يلي:

أولا: تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية:

بعد أن فوض المجلس الوطني للثورة الجزائرية (CNRA) لجنة التنسيق والتنفيذ (CCE) لإنشاء الحكومة المؤقتة، قررت هذه اللجنة عقد اجتماعها يوم 9 سبتمبر 1958[1]، من أجل دراسة عدة قضايا ومن بينها إنشاء حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية، ويرجع المدني أسباب إنشاء هذه الحكومة إلى عدة عوامل، فبالإضافة إلى تفويض لجنة التنسيق والتنفيذ من طرف المجلس الوطني للثورة لإنشاء حكومة مؤقتة، شكلت ألاعيب الفرنسيين ومناورات ديغول المتعددة من أجل إفشال الثورة، إضافة إلى سيطرة الباءات الثلاثة* وإقناع الجميع بأن رجال

[1] –Mohamed Harbi : Les archives de la révolution algérienne, les éditions jeune Afrique, p225.

* ويقصد بهم: كريم بلقاسم، عبد الحفيظ بوصوف، لخضر بن طوبال، ويذكر المدني أن محمود الشريف أيديهم في اقتراحهم بشأن إنشاء حكومة مؤقتة.

الداخل وقادة الثورة وأقطابها يحبذون تلك الفكرة (أي إنشاء الحكومة المؤقتة) ويستعجلون تحقيقها شكلت عوامل أساسية لحدوث ذلك[1].

ويذهب سعد دحلب* إلى أن الحكومة المؤقتة لم تعين من طرف المجلس الوطني للثورة وأن لجنة التنسيق والتنفيذ (CCE) قد تحولت بمطلق الحق إلى حكومة مؤقتة، ولا يوجد أي عضو في المجلس الوطني للثورة قد طلب ولو استفسارا واحدا على هذا القرار، الذي استقبل بكل حفاوة وصفق له كل أعضاء المجلس[2].

وما أورده المدني بشأن إنشاء حكومة مؤقتة متضارب مع أقواله، حيث يقول في المرة الأولى: «وتوالت المذكرات في القاهرة وغيرها، واعتكف الناس في كل مكان على دراسة ذلك العمل وطريقة إنجازه...» ويذكر في الصفحة الموالية: «وبعد استشارات طويلة، ومذكرات متشعبة، بقيت خارجا عنها بصفة تامة، باتة، وقع تشكيل حكومة وضعت بها رغم أنني...»[3].

ففي الأولى يبين المدني أن مشروع إنشاء حكومة قد قام الناس بدراسته، ولا ندري ماذا يقصد بالناس هنا، وفي الثانية ينفي مشاركته في هذه الدراسة والاستشارة لإنشاء حكومة مؤقتة، رغم أنه عضو في المجلس الوطني للثورة، مع هذا التباين في الأقوال من طرف المدني، فنرجح أن سعد دحلب هو الأقرب إلى الحقيقة بشأن إنشاء حكومة مؤقتة، وأن القرار اتخذه العسكريون وحدهم دون استشارة البقية.

ويذكر المدني أن المصريين ويقصد بهم جمال عبد الناصر على الخصوص، أنهم كانوا معارضين لتكوين حكومة مؤقتة جزائرية، وحجتهم في ذلك غياب الزعماء الحقيقيين للثورة

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص579.

* ولد سنة 1918 بقصر الشلالة بتيارت، درس مرحلة الثانوية بمدينة البليدة حيث ربطته علاقات جيدة مع بن يوسف بن خدة، في سنة 1946 قام بأداء الخدمة العسكرية في أواخر 1944 أصبح عضوا في حزب الشعب، وفي سنة 1953 أصبح عضوا في اللجنة المركزية، التحق بالثورة سنة 1955 ثم عضوا بلجنة التنسيق والتنفيذ الأولى، وزيرا للخارجية في الحكومة المؤقتة الثالثة، شارك في مفاوضات إيفيان، توفي سنة 2000، (ينظر: محمد حربي: سنوات المخاض، المصدر السابق، ص193).

[2]– سعد دحلب: المصدر السابق، ص80.

[3]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 579–580.

المتواجدين بالسجن، وأنهم لا يثقون في شخصية فرحات عباس وتوجهاته، وحاولوا إفشال هذا المسعى لكنهم أخفقوا[1].

بعد 04 سنوات من الحرب، والامتحان الصعب والطويل الذي عرفته الثورة، قررت لجنة التنسيق والتنفيذ أن تحل نفسها، وتشكل حكومة جزائرية، وفي 19 سبتمبر 1958 تم الإعلان –في آن واحد– في كل من تونس والقاهرة وعدة عواصم أخرى عن تشكيل حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية[2]، وقد اجتمع رجال الصحافة بشارع مديرية التحرير بالقاهرة، وألقى فرحات عباس قرار التأليف باللغة الفرنسية، وترجمه المدني للحاضرين إلى اللغة العربية، وأعلن المدني إعتراف الجمهورية العربية المتحدة بالحكومة المؤقتة، وكانت العراق أول دولة تعترف بالحكومة المؤقتة وتلتها ليبيا وباكستان، وعلى الساعة السادسة مساء جاء اعتراف دولة اليمن[3].

أما بشأن تشكيلتها فجاءت كالتالي[4]: (عباس فرحات "رئيسا" – كريم بلقاسم "نائب رئيس ووزير القوات المسلحة" – أحمد بن بلة "نائب الرئيس*" – لخضر بن طوبال "وزير الداخلية" – عبد الحفيظ بوصوف "وزير العلاقات والاتصالات" – د/لمين دباغين "وزير الشؤون الخارجية" – محمود الشريف "وزير التسليح" – عبد الحميد مهري "وزير الشؤون الشمال إفريقية" – بن يوسف بن خدة "وزير الشؤون الاجتماعية" – د/أحمد فرنسيس "وزير المالية" – محمد يزيد "وزير الإعلام" – محمد بوضياف "وزير الدولة" – حسين آيت أحمد "وزير الدولة" – محمد خيضر "وزير الدولة" – رابح بيطاط "وزير الدولة" – لمين خان "كاتب الدولة (الولاية الثانية)" – عمر أوصديق "كاتب الدولة (الولاية الرابعة)" – مصطفة اسطنبولي "كاتب الدولة (ممثل لناحية وهران)").

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص580.

[2]– سعد دحلب: المصدر السابق، ص78.

[3]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص581.

[4]– سعد دحلب: المصدر السابق، ص ص 78–79.

* يذكر المدني في كتابه حياة كفاح، ج3، أن أحمد بن بلة تقلد منصب نائب الرئيس ووزير القوى المسلحة، كما أضاف صفة نائب الرئيس على بقية المساجين، وهو مخطئ في ذلك، والمرجح أنه خطأ مطبعي.للمزيد ينظر الملحق رقم 05

ويذكر المدني أن أول اجتماع للحكومة المؤقتة كان يوم 20 سبتمبر 1958 وطلب المدني من الحكومة بصفته وزيرا للثقافة رفع الحجر على الطلبة والسماح لهم بالعودة إلى مزاولة دراستهم بجامعة الجزائر، وهو ما تقرر فعلا وتجسد في شهر أكتوبر 1958[1].

ثانيا: أهم الصعوبات التي واجهت الحكومة المؤقتة 1958-1960:

واجهت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عدة صعوبات، كادت أن تؤثر على مسار الثورة بدرجة خطيرة، ورغم أن الحكومة المؤقتة تجاوزت هذه الصعاب إلا أنها تركت آثارا سلبية امتدت إلى غاية الاستقلال ومن بين هذه الصعوبات مؤامرة العموري وحادثة عميرة علاوة.

1-مؤامرة العموري:

حسب المدني، كان الوزراء منهمكين في تنظيم شؤون وزاراتهم، وإذ بأزمة تنفجر أمامهم على حين غرة، ويعتبرها من أخطر الأزمات، وهي مؤامرة العموري*، ويعتمد في ذلك على تقرير يمتلكه رتّبه وبوّبه وقدّمه كريم بلقاسم لبقية الوزراء طالب منهم الإذن بتنظيم محكمة عسكرية لمحاكمة المتآمرين[2].

وتتمثل هذه المؤامرة في محاولة من جانب ضباط الولاية الأولى والقاعدة الشرقية للإطاحة بالحكومة المؤقتة، وإزاحة كريم بلقاسم ومحمود الشريف، وفي أصل المؤامرة رجلان هما العقيد العموري، الذي أنزلت رتبته في سبتمبر 1958 إلى رتبة رائد، والرائد مصطفى الأكحل، وكانت الروابط التي تجمع الرجلين سياسية، وفي مشروعهما سوف يحصلان على تشجيع مصر المستاءة من مؤتمر طنجة ومن تشكيل الحكومة المؤقتة دون استشارتها في ذلك[3].

---

[1]- المدني: حياة كفاح ج3،المصدر السابق، ص ص 586-587.

* ولد محمد العموري في 14 جوان 1929 بولاية باتنة، عمل كأستاذ للغة العربية، عضو في حزب MTLD,PPA، التحق بالثورة في مارس 1955، قائد الولاية الأولى ثم نائب قائد لجنة العمليات العسكرية الشرق، قاد انقلاب ضد الحكومة المؤقتة سنة 1958، أعدم في 16 مارس 1959، للمزيد ينظر: (بوعلام بلقاسمي وآخرون: موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، منشورات م و د، والبحث في ح و وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص ص 247..249.

[2]- المدني: حياة كفاح ج3، المصدر السابق، ص587.

[3]- نفسه، ص ص 187-188.

من القاهرة تسلل محمد العموري إلى مدينة الكاف التونسية، وعقد اجتماع سري[1]، ضم كوادر الولاية الأولى والقاعدة الشرقية[2]، لكن الوشاية كانت أسبق من ذلك، فبلغ كريم بلقاسم السلطات التونسية على أن هؤلاء جاؤوا وعقدوا العزم على التمرد على السلطات التونسية، التي بدورها ألقت عليهم القبض وسلمتهم للقيادة العليا بتاريخ 15 نوفمبر 1958، وتمت محاكمتهم، وأصدرت في حقهم حكما بالإعدام الذي تم تنفيذه في 16 مارس 1959[3].

يذكر المدني أن المحكمة العسكرية وضع على رأسها الكولونيل صادق، وهو يعتمد في ذلك على تقرير الاتهام الذي أعده كريم بلقاسم[4]، ولكن محمد حربي يذكر أن المحكمة التي حاكمت أنصار محمد العموري كانت برئاسة العقيد بومدين*، وقام الرائد علي منجلي بمهمة المدعي العام، والعقيد صادق كلف بدور المحامي[5].

2 ـ حادثة عميرة علاوة:

فبالإضافة إلى المؤامرة التي حيكت ضد الحكومة المؤقتة من طرف "العموري" وجماعته، هناك أحداث وخلافات أخرى قد عمقت في حجم التصدع في بنية الثورة الجزائرية، ومن بينها حادثة "عميرة علاوة" التي وقعت بتاريخ 10 فيفري 1959 والتي قيل عنها أنها لم يمت فيها "عميرة علاوة" فحسب، بل ماتت فيها الحكومة المؤقتة نفسها[6].

حل عميرة علاوة بالقاهرة في أواخر سنة 1958، من أكبر أنصار الدكتور الأمين دباغين وحسب المدني فإن الرجل «كان وغدا بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وكان يطلق لسانا بذيئا

---

[1]– الطيب عبادلية: مذكرات المجاهد القائد الميداني الوردي قتال، دار الألمعية للنشر، الجزائر، 2018، ص102.

[2]– محمد حربي: جبهة التحرير، المصدر السابق، ص189.

[3]– الطيب عبادلية: المصدر السابق، ص102.

[4]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 588–589.

* اسمه الحقيقي محمد بوخروبة، ولد يوم 23 أوت 1932، انتقل سنة 1951 للدراسة في الأزهر، التحق بالثورة سنة 1956، تقلد عدة مناصب، قائدا للولاية الخامسة وعضوا في المجلس الوطني للثورة سنة 1957، وعلى رأس COM الغرب سنة 1958، ثم قائدا لهيئة الأركان سنة 1960، ثاني رئيس للجمهورية الجزائرية سنة 1965، توفي يوم 27 ديسمبر 1978، للمزيد ينظر: (عمار بوحايدة: بومدين والآخرون: ما قاله وما أثبتته الأيام، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص16 وما يليها).

[5]– محمد حربي: جبهة التحرير...، المصدر السابق، ص189.

[6]– عقيلة ضيف الله: المرجع السابق، ص442.

قذرا في كل وزير من الوزراء...»، فقد اتهم زوجة فرحات عباس بأنها زوجة لرجلين* وفي أواخر جانفي 1959 استدعاه فرحات عباس إلى مكتبه صباحا ليحاسبه على أقواله، وحسب ما قصه محمد الغسيري للمدني، ويعتبر عنده ثقة منزه، فبعد ارتفاع صوت كل من فرحات عباس وعميرة داخل المكتب، قام عباس بصفع عميرة صفعتين، وقام هذا الأخير بإلقاء نفسه من النافذة[1].

بينما يذهب فتحي الذيب في كتابه عبد الناصر والثورة الجزائرية إلى أن مقتل عميرة علاوة كان على يد جهاز ورجال بوصوف، وتمت العملية في الطابق الخامس ومن تدبير بوصوف ويعينه في ذلك فرحات عباس[2]، هذا الأخير الذي حقق مع عميرة في الطابق المخصص لوزارة بوصوف، وليس كما جاء به المدني أن التحقيق تم في مقر رئيس الحكومة.

ونرجح أن يكون فتحي الذيب أقرب للحقيقة بشأن حادثة ومقتل عميرة علاوة، لأن المدني لم يكن حاضرا أثناء الحادث، بالإضافة إلى أن كل من كان حاضرا ذلك اليوم، ثم تهديده من طرف بوصوف، زد على ذلك أن قضية عميرة قضية حساسة وتمس بسمعة الثورة والحكومة المؤقتة.

المطلب الثاني: تعثر الحكومة المؤقتة الأولى

كان على أعضاء الحكومة المؤقتة ومن بينهم توفيق المدني القيام بمعركة دبلوماسية حقيقية لكسب الاعتراف الدولي بهذه الحكومة، كممثل للثورة الجزائرية، ومفاوض وحيد مع السلطات الاستعمارية، ولبلوغ هذه الغاية تحرك الوزراء في جميع بلدان العالم، وفي هذا الإطار زار المدني رفقة رئيس الحكومة وعدد من الوزراء عدة بلدان عربية، ابتداء بزيارة إلى ليبيا، التي حل بها الوفد يوم 13 فيفري 1959[3].

---

* ويقصد بالرجلين فرحات عباس وأحمد فرنسيس، وحسب المدني دائما فإن زوجة فرحات عباس من أفضل النساء أخلاقا وأحسنهن وأمتنهن دينا، للمزيد ينظر: (المدني: حياة كفاح، ج3، ص591).

[1]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 590-592.

[2]- فتحي الذيب: المصدر السابق، ص424.

[3]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص595.

وتوالت زيارات المدني للبلدان العربية في الفترة ما بين مارس 1959 إلى غاية شهر ماي 1959، حيث زار كل من السعودية التي حصل بها على مساعدات مالية معتبرة، وتلقى المدني بارتياح خطاب الملك السعودي[1] الذي قال للوفد الجزائري: «أنتم تدفعون ضريبة الدم، ونحن ندفع ضريبة المال، والله يوفقنا جميعا»[2]، كما زار الوفد كل من الكويت ولبنان والسودان والعراق، هذا الأخير تحصل منه على إمدادات كبيرة من الأسلحة، ومبالغ مالية هامة[3].

ويذكر المدني أنه وقبل اكتمال الرحلة، التي تبقى منها سوى الزيارة إلى السودان والأردن، وفي القاهرة وافق الرئيس المصري جمال عبد الناصر أن يقابل أعضاء الحكومة المؤقتة[4]، والذي كان يرفض مقابلتهم في كل مرة يطلبون ذلك، بسبب ما يعرف بقضية العموري، واتهام مصر بالتواطؤ معها[5]. وفي هذا اللقاء قام الرئيس المصري بتقديم بعض النصائح بشأن بعض الخلافات والشقاق الذي أصبح ظاهرا للعيان بين أعضاء الحكومة المؤقتة، وانتشر خبره في فرنسا، وحتى داخل الجزائر، وأكد لهم بأن هذا الشقاق ليس في مصلحة الثورة[6].

ويذهب فتحي الذيب إلى القول بأن: «لجوء أعضاء الحكومة لتحسين علاقتهم بالقاهرة لا يرجع إلى إخلاص ووفاء وصدق نواياهم، وهناك العديد من الأدلة تشير إلى أن لجوءهم لهذا السبيل كان بهدف كسب الوقت حتى يتم لهم معرفة اتجاه ونوايا قادة الداخل تجاه الحكومة ومدى قدرتهم على إقناع الداخل بإيقاف القتال»[7].

في حين يرى سعد دحلب أن الجالية الكبيرة المتواجدة خارج الجزائر جعلت الحكومة المؤقتة تولي أهمية كبرى لهذه الجالية كونها مبعثرة ومشتتة في كافة ربوع العالم، ويتحتم إبقاءها مهما كانت الأحوال وفية لثورة التحرير، فأصبحت هذه الإدارة تتثاقل يوما بعد يوم، وتأخذ جل

---

[1]– عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني ودوره..، مذكرة ماجستير، المرجع السابق، ص209.

[2]– المدني: حياة كفاح ج3، المصدر السابق، ص599.

[3]– عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص210.

[4]– المدني: حياة كفاح ج3، المصدر السابق، ص639.

[5]– فتحي الذيب: المصدر السابق، ص429.

[6]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص639.

[7]– فتحي الذيب: المصدر السابق، ص434.

اهتمام وطاقة الحكومة المؤقتة، في حين أن الأمر في الداخل كان سيئا وازداد سوء بعد إنشاء خذ "شال"*، ولم تستطع الحكومة إيجاد حلول لعزلة الداخل[1].

وبالنسبة لتوفيق المدني فقد اعتبر حالة اللاإنسجام وقعت اضطرارا، حيث أن الوزراء المدنيين وجدوا أنفسهم في عزلة عن العسكريين، وبالتالي لا اطلاع لهم على حقيقة الوضع داخل البلاد، منتقدا في نفس الوقت انفراد العسكريين بالإجراءات التي يجهلها أحيانا حتى رئيس الحكومة نفسه[2]. بالرغم من أن قادة الحكومة المؤقتة استطاعوا التخلص من عدة أزمات كأزمة محمد العموري وغيرها، إلا أن الأزمات والمشاكل لم تتوقف عند هذا الحد، بل شهدت قيادة الثورة بالخارج خلال النصف الأول من سنة 1959 بعضا من المشاكل الحساسة، التي كادت أن تؤدي بالكفاح المسلح إلى مزالق ومتاهات خطيرة بسبب انعدام الثقة والجري وراء السلطة[3].

وهذا ما أشار إليه المدني، وأوضحه من خلال نقاشات مجلس الوزراء الذي انعقد يوم 29 جوان 1959 بالقاهرة، والذي سجله المدني بحضور جميع الوزراء إلا الدكتور الأمين دباغين الذي أصر على تقديم استقالته[4] وكانت آراؤهم كالتالي:

اعترف كريم بلقاسم بأن الحكومة المؤقتة منشقة وغير متصلة بالشعب، وطالب بإنشاء سلطة جديدة، وأيده معظم الوزراء، بينما أحمد توفيق المدني اقترح إدخال تعديل على نظام الحكومة لا على أشخاصها، وحجته في ذلك أن معظم الوزراء غير مطلعين على حقيقة ما يجري بالداخل[5]، واقترح المدني اجتماع طارئ للمجلس الوطني للثورة لينظر فيشأن إنشاء هيئة

* تم إنشاؤه بعد خط موريس، وموازي له والمسافة قد تزيد أو تضيق حسب طبيعة الأرض ومسالكها، وهو عبارة عن حقول من الألغام والخنادق والحفر الخداعية العميقة في بعض الأحيان، وكان ذلك سنة 1959.

[1]– سعد دحلب: المصدر السابق، ص ص 101–102.

[2]– عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص211.

[3]– العربي الزبيري: كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954–1962، منشورات الوطن للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص155.

[4]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص646.

[5]– ميلود سهام: علاقة الحكومة المؤقتة بقيادات جيش التحرير الوطني سبتمبر 1958، مارس 1962، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2011، ص29.

هيئة جديدة، لكن وقع اتفاقهم على جمع القادة العسكريين[1]، وهو ما يعرف باجتماع العقداء العشرة* وبهذا انتهت الحكومة المؤقتة الأولى إلى فشل ذريع في إكمال مشوارها، وغادر المدني ليباشر مسؤوليات أخرى.

المطلب الثالث: ملخص أعمال وزارة الثقافة (أكتوبر 1958- نوفمبر1959)

إثر الدعوة الموجهة إلى المدني من طرف رئيس الحكومة فرحات عباس لحضور مؤتمر المجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي سيعقد بطرابلس شهر ديسمبر 1959، يقول المدني: «مكثت خمسة أيام أكتب تقريري عن أعمال وزارتي خلال 14 شهرا»، وحسب المدني فإنه الوزير الوحيد من بين الوزراء يحمل تقريرا مكتوبا مدروسا عن وزارته[2].

اشتمل التقرير الذي أدرجه المدني في كتابه حياة كفاح (ج3) على جل أعمال الوزارة بالإضافة إلى تشكيلة الوزارة، وهو تقرير ضخم احتوته 37 صفحة من كتابه، وهو دليل على انضباط المدني وطاقمه في تسيير شؤون وزارته، وسنحاول إعطاء ملخص صغير حول هذه الأعمال، وفي مقدمتها تشكيل الوزارة[3].

أولا: الهيكل الإداري لوزارة الثقافة:

- الوزير: أحمد توفيق المدني: ومهمته التوجيه والإرشاد والتنسيق بين المكاتب، والمساعي الرسمية مع الحكومات والوزارات والسفارات، زيادة على أعماله السياسية مع الحكومة.

- مدير المكتب العربي: ويديره السيد أبو زيان التلمساني، ومهمته الإشراف على أمور الطلاب في القاهرة، وبلاد الشرق العربي، وذلك بعد عرضها على الوزير ودراستها معه، وأخذ القرار منه.

---

[1]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص646.

* اجتماع دام مئة يوم وضع كل من الباءات الثلاثة ومحمدي السعيد، وهواري بومدين من الخارج، وكل من العبيدي حاج لخضر، علي كافي، السعيد يازوران، سليمان دهيليس، العقيد لطفي من الداخل، للمزيد ينظر: (ميلودي سهام: المرجع السابق، ص30).

[2]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 684-685.

[3]- نفسه، ص ص 687...689.

– مدير المكتب الأوروبي: ويديره السيد عبد السلام بلعيد، وله نفس مهمة مدير المكتب العربي، لكن في كل ما يتعلق بمشاكل وترسيم الطلاب في أوربا، والطلاب الذين يزاولون التعليم الفرنسي بتونس والمغرب الأقصى، وكذلك الاتصال والعمل المشترك بين الوزارة وبين الاتحاد العام للطلبة، والهيئات الطلابية العالمية.

– مدير المكتب التنفيذي: ويديره السيد الترزي الشرفي، ومهمته القيام بالأعمال الخارجية والجوازات والإقامات وتنظيم السفر وحركة القدوم والخروج، وهو يقوم إلى جانب ذلك بالإدارة المالية، وحسابات الوزارة في القاهرة.

– لعب الشيخ عبد الحميد حيرش دور المشرف العام والمراقب لأمور المطعم الطلابي، ومراقبة مدارس سكن الطلبة ومراقبة سيرها ماديا وأدبيا وأخلاقيا.

– ممثل الوزارة والنائب عنها في دفع مخصصات الطلبة والدفاع عن مصالحهم ورعايتهم بالمغرب الأقصى، وقد تطوع لهذا المنصب الأستاذ رابح الفرقاني[1].

ثانيا: حالة الطلبة في البلاد العربية:

1ـ في تونس:

جاء مقال في جريدة المجاهد بعنوان رسالة الطلبة والعمال في الثورة، يوضح بأن عدد الطلاب تضخم بتضخم عدد اللاجئين ومما جاء فيه: «وبعد أن تحقق هذا الهدف الأساسي في الداخل توجهت جهود الاتحاد إلى العمل الخارجي على المستوى الطلابي... بالإضافة إلى الجالية الطلابية الكبرى التي ما انفكت تتضخم في كل من تونس والمغرب بتضخم عدد اللاجئين»[2]، وهو ما أبرزه المدني في تقريره، بالإضافة إلى الحالة المزرية التي يعيشها الطلاب، بتونس، فقد وصل إلى 650 طالبا[3].

واستطاع المدني أن يعالج الوضع ماديا وأدبيا، فمن حيث العدد تمكن من تخفيف الضغط بفتح آفاق جديدة بجامعات ومعاهد الشرق، وجامعات أوروبا، فكانت البداية بتوزيع 64 طالبا

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص689.

[2]– المجاهد: رسالة الطلبة والعمال في الثورة، العدد54، بتاريخ 01–11–1959، ص8.

[3]– محمد الصالح الصديق: المرجع السابق، ص330.

بين كليات ومعاهد الشرق العربي، ودفعة يبلغ عددها 112 طلبا وزعت بمعاهد وجامعات كل من الكويت والعراق وسوريا ومصر، أما من الناحية المادية، تحسين نوع الأطعمة وزيادة المنحة الشهرية للطالب التي ارتفعت إلى 1500 فرنك، بالإضافة إلى دفع إعانة شهرية لفرع الاتحاد العام بتونس تقدر بـ90 ألف[1].

2 ــ في المغرب:

وحسب المدني دائما، توجد بالمغرب الأقصى فئتين، فئة من الطلاب تتكفل بها الحكومة الملكية المغربية، وفئة تعيش الفاقة، وهي مؤلفة من 140 طالبا يتلقون العلوم العربية والدينية، بمعاهد فاس ومكناس[2] فقد رفع المدني المنحة الشهرية للطالب من ألفي فرنك إلى خمسة آلاف فرنك شهريا، وأكد على الهيئة الجديدة أن تنظر في أمرهم، وأن تزيد مقدار المنحة، كما أثنى على فضل الاتحاد العام المغربي للشغل الذي أعان الطلبة في مجال السكن[3].

3 ـ في باقي الدول العربية الأخرى:

(مصر، سوريا، العراق، الكويت)، عملت الوزارة على البحث عن مقاعد للدراسة في المعاهد والجامعات العربية من خلال التوسط لدى حكومات هذه الدول، بالإضافة إلى التعاون مع فروع الاتحاد في الشام والعراق ومصر بدفعها لإنشاء لجان فرعية لمراقبة الطلبة أخلاقيا داخل المدارس وخارجها، ورفع في منحة الطالب في كل هذه الدول، ويدرج المدني خلاصة لعدد الطلاب وتوزيعهم بالبلاد العربية في جدول كما يلي*:

[1]– المدني:حياة كفاح ج3 ،المصدر السابق، ص ص 692–693.

[2]– نفسه، ص696.

[3]– نفسه، ص697.

* جدول يوضح عدد الطلاب وتوزيعهم في الشرق العربي فترة 1959–1960، ينظر المدني: نفسه، ص705.

	الجامعيون		الثانويون		
	جديد	قديم	جديد	قديم	المجموع
القاهرة	26	46	22	21	115
سوريا	2	33	06	23	64
العراق	38	58	–	–	96
الكويت	–	–	20	17	37
المجموع	66	137	48	61	312
الليسة الفرنسي			18	–	18
على غير حساب الوزارة المدارس الخاصة			10	–	10
بالرياض			–	08	08

تعرض المدني في "حياة كفاح (ج3)" إلى عدة أعمال قامت بها وزارته، لا يسعنا المجال لذكرها في بحثنا، وسوف نكتفي بالإشارة إليها في نقاط كالآتي[1]:

– على إثر الاضطهاد على الطلاب في المعاهد الفرنسية بعد الإضراب العام، عملت الوزارة مع الاتحاد العام للطلاب بالبحث عن معاهد وجامعات أوربية وأمريكية يزاولون فيها تعليمهم.

– فيما يخص تعليم أبناء اللاجئين طلبت الوزارة من مجلس الوزراء اعتماد قدره 19 مليون فرنك للتكفل بهم، إلا أن المجلس رفض ذلك لضعف المداخيل.

– تجهيز المكتبة (مكتبة الوزارة) بنحو أربعة آلاف كتاب جمعت من مختلف الدول العربية.

– شاركت الوزارة بالعديد من المؤتمرات الأدبية والثقافية.

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 707...722.

- سلكت الوزارة سياسة الاقتصاد والتقشف.
- بالإضافة إلى 15 سفرية للوزير نحو البلدان العربية والصين وموسكو.

والواضح أن قيادة الثورة منقسمة إلى اتجاهين بخصوص الطلبة والتحاقهم بالثورة، وهذا ما أكده محمد حربي من خلال طرحه بأن الدور المعطى للمثقفين والطلبة يدور بين أطروحتين متضادتين تتعايشان داخل جبهة وجيش التحرير الوطني؛

الأولى: يحتاج الوطن إلى كل أبنائه في الأوقات الأكثر صعوبة؛

والثانية ترى في الطلاب كإدارة المستقبل[1]، وهذه الأخيرة هي التي كان المدني يدافع عنها ويؤمن بها.

وانتهت أشغال المجلس الوطني للثورة، ولم يكمل المدني حضوره لمداولاتها، وذلك راجع إلى حالة ابنته المريضة المتواجدة في سويسرا[2]، ولقد تم استبعاد كل من الأمين دباغين وأحمد توفيق المدني، ومحمود الشريف، ومحمد البجاوي، وصالح الوانشي وعبد المالك تمام من هذا المجلس الجديد[3].

[1]– حربي: جبهة التحرير الأسطورة...، المصدر السابق، ص208.

[2]– المدني:حياة كفاح ج3 ،المصدر السابق، ص726.

[3]– عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص211.

المبحث الثاني: التمثيل الدائم في جامعة الدول العربية وأهم القضايا

أدى إلغاء عضوية المدني من المجلس الوطني للثورة والتشكيلة الثانية للحكومة المؤقتة إلى فتح المجال لالتحاقه كممثل دائم لجبهة التحرير الوطني في جامعة الدول العربية، وتخللت هذه الفترة أحداث بارزة ذكرها المدني في مذكراته من بينها مرحلة المفاوضات وما تلاها خلال الفترة الانتقالية.

المطلب الأول: نضال المدني في جامعة الدول العربية

بعد أن أزيح المدني من تشكيلة الحكومة المؤقتة الثانية، وكذلك فقدانه لعضويته في المجلس الوطني للثورة، وفي يوم 03 فيفري 1960 وردت إليه رسالة من رئيس الحكومة السيد فرحات عباس تنتدبه لتمثيل الجزائر بجامعة الدول العربية كمندوب دائم، وفي 17 فيفري من نفس السنة صدر أمر من الحكومة المؤقتة بتعيين المدني إلى جانب تمثيله الجزائر بجامعة الدول العربية، سفيرا لدى حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وهكذا دخل المدني في الوسط الدبلوماسي من أوسع أبوابه، وفي هذا المقام يقول المدني: «وهكذا أصبحت مضطلعا، ولحسن الحظ بمسؤولية محددة معينة أقوم بها –بعيدا لحد ما– عن الدسائس والفتن والمناورات... ودخلت في الوسط الدبلوماسي من أوسع أبوابه...»[1]، وعالج المدني في هذا الجزء من الكتاب عدة مواضيع نذكر منها:

أولا: تونس وقضية الحدود:

تساءل المدني عن سبب خلق الرئيس التونسي لحبيب بورقيبة قضية مراجعة الحدود التونسية مع الجزائر وليبيا، ويرجع سبب افتعال هذه القضية من طرف الحبيب بورقيبة، لعله يفوز ببعض آبار البترول الجزائري في الجنوب، وشبه وجهة نظره بوجهة نظر اللواء عبد الكريم قاسم في امتلاك دولة الكويت، وحسب المدني دائما فإن هذه الدعوة تلاشت أمام صلابة الجزائريين في الدفاع عن أرض الوطن.

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 732–733.

ويذهب المدني إلى أن حوادث بنزرت 1961م أحيت هذه الدعوة من جديد، وخاصة أن جامعة الدول العربية تعاطفت مع تونس وأيدت الممثل التونسي "الطيب السحباني" في مطالبتها باسترجاع أراضيها[1].

وباستثناء المغرب الأقصى يقول المدني كان العرب يجهلون خطورة هذا الطلب، واستطاع المدني أن يقنع أعضاء مجلس الجامعة بخطورة هذا الطلب وأن الأرض "جنوبها"* التي تطالب بها تونس إنما هي أرض جزائرية، دافع عليها الجزائريون ودفعوا دمائهم من أجلها، وبخصوص حادثة بنزرت قال المدني في كلمة لمجلس الجامعة بأن جبهة التحرير الوطني مستعدة لوضع تحت تصرف الحكومة التونسية كامل الجيش الموجود بالحدود التونسية من أجل الدفاع عن الحق التونسي في بنزرت[2].

ثانيا: قضية التفجير النووي الفرنسي بالجزائر:

في هذا الإطار يذكر المدني أن يوم 31 مارس 1960 هو يوم تفجير فرنسا النووي الأول، ويصادف اجتماع مجلس جامعة الدول العربية[3]، والحقيقة أن فرنسا بدأت تفجيراتها النووية في الجزائر يوم 13 فيفري 1960 وذلك في منطقة حمودية برقان، وقد أطلق على هذه العملية اسم اليربوع الأزرق (Gerboise bleu) بلغت طاقتها 70 كيلو واط[4]، ولعل المدني هنا اختلط عليه الأمر، فالتفجير الثاني وقع يوم 01 أفريل 1960، وأطلق على هذه العملية اليربوع الأبيض، وهذا التاريخ قريب لما ذكره المدني.

ومهما يكن من أمر فإن المدني وقف يوم 31 مارس 1960 في الجامعة العربية ومما جاء في كلمته، إن موضوع تفجير القنبلة الذرية الفرنسية يمس الجزائر بصفة مباشرة ثم يمس

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص734.

* طالبت تونس بالعلامة 233 وهي منطقة تفطية تقع في غارة الهامل غربي غدامس، تقدر مساحتها بحوالي 30 ألف كلم مربع، للمزيد ينظر: (بن خدة: اتفاقيات إيفيان...، المصدر السابق، ص23).

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 735–736.

[3]– نفسه، ص736.

[4]– عبد القادر فكاير: التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر والمواقف الوطنية منها، مجلة المصادر، العدد15، الجزائر، 2007، ص142.

المغرب ثم بقية إفريقيا والعالم كله، وبعدما علق على مواقف الدول تجاه القضية، طرح على مجلس الجامعة العربية ثلاثة اقتراحات:

أولا: التوصية بأن تبادر كل الدول العربية أعضاء الجامعة بقطع علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع الحكومة الفرنسية.

ثانيا: السعي لدى كل الدول الإفريقية والآسيوية لكي تقطع علاقاتها السياسية والاقتصادية مع فرنسا.

ثالثا: يطلب من الدول الآسيوية والإفريقية التي تعترف حتى الآن بالحكومة المؤقتة الجزائرية بالاعتراف العلني، وأن تقف إلى جانب الدول العربية في اعتبار حرب الجزائر حربا تحريرية إفريقية عربية آسيوية[1]، ولقد لقيت هذه المقترحات ترحيبا لدى أغلب الدول الأعضاء، وأضاف إليها ممثل مصر اقتراحا رابعا هو تجميد الأموال الفرنسية بالبلاد العربية، وبناء على عدم الإجماع في المواقف لم تأخذ الجامعة العربية بأي قرار عملي ضد فرنسا واكتفت بنشر بيان استنكار[2].

على غرار عدة اجتماعات حضرها المدني في مجلس الجامعة العربية، حيث ركز على الخطابات التي ألقاها في هذه الاجتماعات، ولا يسعنا مجال البحث لذكرها، ونكتفي بذكر اجتماع مجلس الجامعة بشتورا*، والذي وصفه المدني بمؤتمر الخزي والعار، حيث يقول المدني: «ويعالج فيه المشاكل التي وقعت إثر انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة، وحسب المدني دائما فإن سوريا قد ثارت تحت تأثير العناصر الرأسمالية والرجعية، وتحت تأثير دعاية سياسة أجنبية سوداء، نسفت الاتحاد بين مصر وسوريا وكادت النيران تشتعل بين الطرفين لولا حكمة الرئيس جمال عبد الناصر[3].

---

[1]– عبد القادر فكاير: التفجيرات النووية الفرنسية في ، المرجع السابق، ص142.

[2]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص741، أيضا مجلة المصادر، المرجع السابق، ص147.

* مدينة لبنانية تقع قريبا من الحدود السورية.

[3]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 791–792.

المطلب الثاني: مراحل المفاوضات بين فرنسا والجزائر

قسم المدني مرحلة المفاوضات إلى عهدين مختلفين وهما: عهد الجمهورية الفرنسية الرابعة وعهد الجمهورية الفرنسية الخامسة.

أولا: عهد الجمهورية الفرنسية الرابعة:

رفض المسؤولون الفرنسيون حتى أوائل سنة 1956 أي تفاوض مهما كان نوعه، ولكن بعد مجيء جي مولي جرى أول اتصال في القاهرة بين ممثلين شبه رسميين عن الحكومة الفرنسية هما "غورس وبيفارا" وبين محمد خيضر عن جبهة التحرير ولم يؤدي هذا الاتصال إلى أي نتيجة[1]، لكن بن يوسف بن خدة يذكر أن أول لقاء كان في شهر أفريل 1956، حيث تم اللقاء بين مبعوث منديس فرانس، وعبان رمضان وبن يوسف بن خدة في الجزائر العاصمة، ويليه لقاء خيضر مع غورس وبيفارا.

كما جرت لقاءات أخرى في بلغراد عاصمة يوغسلافيا جمعت بين "أمحمد يزيد وأحمد فرنسيس" مع "هيربو وكازيل"*، وذلك يوم 21 جويلية 1956، وكذلك التقى "كازيل" يوم 2و3 سبتمبر 1956 في روما مع كل من امحمد يزيد وخيضر وكيوان، ثم لقاء خيضر وكومين بالقاهرة، وبريوني فيما بعد، وهذا بغض النظر عن مؤتمر بلدان المغرب العربي بتونس، والذي ألغي بعد حادثة اختطاف الزعماء[2].

ثانيا: في عهد الجمهورية الخامسة:

أما في عهد ديغول**، وبعد تنظيم الاستفتاء على الدستور الفرنسي الجديد الذي تم تنظيمه في 28 سبتمبر 1958، شرع ديغول في شهر أكتوبر من نفس السنة إلى تطبيق

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص799.

*يذهب المدني إلى أن الاتصالات جمعت بين الوفد الجزائري، "كوهين وهيريو" بتاريخ 11 جوان 1956، ولعله مخطئ بذلك.

[2]– بن يوسف بن خدة : نهاية ... ،المصدر السابق، ص15.

** إثر حركة التمرد التي قام بها القادة العسكريين في 13 ماي 1958 سقطت الجمهورية الفرنسية الرابعة برئاسة روني كوتي، وتم انتخاب ديغول رئيسا للجمهورية في 21 ديسمبر 1958 وأصبح ديغول رسميا أول رئيس للجمهورية الخامسة في 08 جانفي 1959، للمزيد ينظر: (أوليفي لونغ: الملف السري –اتفاقيات إيفيان، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص17.

مخططه، بداية بمشروع صلح الشجعان*، وفي 16 سبتمبر 1959 اعترف ديغول بحق تقرير المصير للمكتب الجزائري، ولكنه أحاطه بشروط وقيود أفرغته من كل محتوى إيجابي[1].

بين المفهوم الديغولي لتقرير المصير ومفهوم الحكومة فرق شاسع، فبالنسبة لهذه الأخيرة قبل الوصول إلى تقرير المصير: يجب أن يتم وقف إطلاق النار، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالاتفاق المسبق حول الشروط، وستظهر هذه الاختلافات بين الطرفين في اتصالات مولان[2].

- **اتصالات مولان:** يذكر المدني بأن هذه الاتصالات جاءت في أول جوان 1960، وهو غير دقيق في تاريخ هذه الاتصالات، لأن هذه الأخيرة جاءت بعد تصريح الجنرال ديغول بتاريخ 14 جوان 1960، وإثر ذلك فقد استجابت الحكومة المؤقتة بإرسال مبعوثين اثنين هما: محمد بن يحي وأحمد بومنجل، لكن الحكومة الفرنسية لم تعاملهم على أساس مفاوضين، بل عاملتهم على أساس "متمردين" وعزلتهما في مقر عمالة مولان من 25 إلى 29 جوان 1960.

يورد "المدني" المداخل المختلفة للمفاوضات من من " لوسارن" إلى اتفاقيات " إيفيان الثانية" بشيء من الاختصار، بدون ذكر الشخصيات المفاوضة من الجانبين، ولا ذكر الوساطة السويسرية للمفاوضات على غرار رضا مالك، سعد دحلب، بن يوسف بن خدة، الذين تطرقوا إلى تفاصيل مهمة في المفاوضات، ويذكر " المدني" أن ديغول استمر في من التفاوض الحقيقي إلى غاية فيفري 1961 حيث أعلن في خطاب له في فرنسا لأول مرة أن يسلم بالدولة الجزائرية وعلى هذا الخطاب بدأت الاتصالات السرية[3].

بينما يؤكد كل من سعد دحلب ورضا مالك وأوليفي لونغ بأن الاتصالات الأكثر أهمية، والتي انتهت إلى جمع الجزائريين والفرنسيين إلى طاولة المفاوضات هي الاتصالات التي أدارها السويسريون من المديرية السياسية للكونفدرالية[4].

---

* طلب ديغول من قادة الثورة في شهر أكتوبر 1958 الاستسلام إلى الجيش الفرنسي تحت عنوان رفع الراية البيضاء.

[1]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 801-802.

[2]- بن خدة: نهاية حرب التحرير...، المصدر السابق، ص18.

[3]- المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص802.

[4]- أوليفي لونغ: المصدر السابق، ص31، ينظر كذلك، رضا مالك:المصدر السابق، ص123.

يذكر سعد دحلب في كتابه المهمة منجزة ..« لقد أعلمنا السيد أوليفي لونغ صديق السيد جوكس Joxe أنه مستعد لتسهيل الاتصالات السرية أو العلنية فوق تراب بلاده، وبطبيعة الحال كان قد أعطى نفس الضمانات للحكومة الفرنسية، وهكذا كانت أول الاتصالات السرية في سويسرا»[1].

- **لقاء لوسارن 20 فيفري 1961:**

تم هذا اللقاء بوساطة سويسرية بواسطة أوليفي لونغ الوزير السويسري المكلف من طرف حكومته برئاسة الجمعية الأوروبية الخاصة بالتبادل الحر، وأوكل ديغول هذه المهمة " لجورج بومبيدو"، ويرافقه " برونو دولاس" مدير الشؤون السياسية بوزارة الخارجية الفرنسية، ومن الجانب الجزائري " الطيب بولحروف" و " أحمد بومنجل"[2]، حيث رد " بومبيدو" على ممثلي الحكومة المؤقتة بأن « قضية الصحراء لا نقاش فيها» وأضاف قائلا:« أن الصحراء بحر له سواحل تسكنها شعوب ساحلية والجزائر واحدة من تلك الشعوب، وعلى فرنسا أن تستشير الجميع..»[3].

- **إيفيان الأولى ماي-جوان 1961:**

ذكر المدني أن المفاوضات بدأت في 20 ماي 1961 واستمرت إلى غاية 13 جوان 1961، ثم توقفت بسبب مناورات فرنسا، داخل قاعة المفاوضات[4]، ولكنه أهمل جانب مهم من هذه المرحلة وسبب اللقاء في هذه الفترة، وعلى غرار ما جاء به المدني فقد ذكر كل من سعد دحلب وبن خدة ورضا مالك بأن المفاوضات كان من المزمع عقدها في 07 أفريل 1961 في إيفيان، ولكن التصريح الذي أدلى به الوزير " لويس جوكس" في وهران والذي مفاده أن المفاوضات تستمر في نفس الوقت مع الحركة الوطنية الجزائرية، وبهذا رفضت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الذهاب إلى إيفيان في الموعد المحدد، وفي 22 أفريل 1961،

---

[1]- سعد دحلب: المصدر السابق، ص122.

[2]- بن يوسف بن حدة: نهاية حرب التحرير...، المصدر السابق، ص20.

[3]- نفسه، ص21.

[4]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص803.

حدث تمرد الجنرالات الأربعة* على السلطة الشرعية، وبعد الانتهاء من كبح جماح هذا التمرد عجل كل من ديغول والحكومة المؤقتة إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات في إيفيان بتاريخ 20 ماي 1961[1].

لوجران 20 جويلية 1961:

لم تستمر هذه المفاوضات أكثر من أسبوع ثم قطعت نظرا لإصرار فرنسا على فصل الصحراء، واعتبار الصحراء مشكلة قائمة بذاتها ستسوى فيما بعد بين الجزائر المستقلة وفرنسا[2].

وبعد مسيرة طويلة من المفاوضات إلى غاية 06 مارس 1962 بدأت مفاوضات إيفيان الثانية التي استمرت لمدة 12 يوما، وتوصل فيها الطرفان إلى اتفاق عام وشامل في جميع المشاكل ووقع على اتفاقية وقف إطلاق النار في 18 مارس 1962[3]، في حين أن سعد دحلب وهو أحد المفاوضين البارزين يذكر بأن المفاوضات فتحت في إيفيان رسميا في 07 مارس 1962 بعد أن تم إخطار الحكومة الفرنسية عن النتائج الإيجابية لاجتماع طرابلس[4].

تم التوقيع على اتفاقيات إيفيان يوم 18 مارس 1962، وأصبحت نافذة المفعول من منتصف يوم 19 مارس 1962 في جميع أنحاء القطر الجزائري.

ويورد " المدني" أهم بنود الاتفاقية كما نشرتها جريدة المجاهد في عددها (رقم 116) وأهم ما جاء فيه:

- الفترة الانتقالية تتراوح بين 3 و 6 أشهر.
- الانتخابات لتعيين المجلس الوطني الجزائري تبدأ في ظرف ثلاثة أسابيع بعد الاستفتاء.

---

* وهم شال، جوهر، سالان، زيلر، مدعومين من طرف بعض وحدات الجيش، قاموا بتمرد عسكري، عازمين على إبقاء الجزائر كجزء من فرنسا. للمزيد ينظر أوليفي لونغ،المصدر السابق، ص213.

[1]- بن خدة: نهاية حرب التحرير، المصدر السابق، ص23.

[2]- المدني:حياة كفاح ج3، المصدر السابق، ص803.

[3]- نفسه، ص804.

[4]- سعد دحلب: المصدر السابق، ص157.

– فرنسا تعترف باستقلال الجزائر فور المصادقة الشعبية على مبدأ الاستقلال والتعاون[1].

يصف المدني اتفاقيات إيفيان بمعاهدة الشرف والفخار، وأن هذه الاتفاقية أمضيت رغم مناورات الجيش السري الفرنسي* الذي قتل العديد من الأبرياء، ونشر جو من الإرهاب، وانتهى هذا كله بإطلاق سراح المسجونين الخمسة[2].

وحيا الرأي العام العالمي اتفاقيات إيفيان واعتبرها انتصارا عظيما، وكذلك كان رأي الزعماء المعروفين بخبرتهم في الحرب الثورية مثل تيتو، فيديل كاسترو، وشوان لاي[3].

المطلب الثالث: المرحلة الانتقالية وأهم الأحداث

انطوت المرحلة الانتقالية على مجموعة أحداث، كالتالي:

أولا: مؤتمر طرابلس:

بعد إطلاق سراح المساجين الخمسة**، يذكر المدني أن هؤلاء قرروا –باستثناء ابن بلة– زيارة العراق وسوريا والكويت دون المرور على المملكة العربية السعودية، ويعتبر المدني إغفال زيارة السعودية نكرانا للجميل، وإهانة لدولة قدمت الكثير من الدعم للثورة التحريرية، وينتقل المدني للحديث عن مؤتمر طرابلس الذي يصفه بالأليم، ومما جاء على لسانه: «ثم كان مؤتمر طرابلس الأليم حيث تباينت المصالح، واختلفت الأهواء وتضاربت الآراء...»[4].

ودون الخوض كثيرا في الأحداث التي دارت أثناء وقبل انعقاد مؤتمر طرابلس، يوضح المدني ويؤكد على الانشقاق الذي حدث بين الحكومة المؤقتة وبين قيادة الأركان، حيث وقف "بن بلة وخيضر" والقيادة العسكرية العليا ضد حكومة "بن خدة" التي غادرت طرابلس قبل نهاية

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص804

* وتسمى منظمة الجيش السري، والتي ظهرت في جانفي 1961 المستندة إلى السكان الأوروبيين، والإدارة وقسم من الجيش، وكانت تشكل عائقا دون تطبيق الاتفاقات بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، للمزيد ينظر: محمد حربي: جبهة التحرير الأسطورة.. المرجع السابق، ص263.

[2]– بن خدة: نهاية حرب التحرير ...، المصدر السابق، ص35.

[3]– نفسه، ص41.

** ويقصد بهم: أحمد بن بلة، محمد بوضياف، محمد خيضر، حسين آيت أحمد، رابح بيطاط.

[4]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص818.

المؤتمر، ورجعت إلى تونس، بينما شكل المؤتمر بعد ذلك "المكتب السياسي"* الذي أعلن أنه السلطة العليا باسم جيش وجبهة التحرير، ووقع بين الجانبين الكفاح الدموي، ولولا تدخل الشعب بصيحته التي دخلت التاريخ كما يذكر المدني «سبع سنين بركات»[1]، لكانت الحرب بين الإخوان.

ثانيا: قضية أموال الجزائريين الراجعين من تونس إلى الجزائر:

يعتبر المدني أن هذه القضية من القضايا الشائكة، والعويصة الحل، والتي اهتمت بحلها جامعة الدول العربية ولجنتها المختصة بقضية الجزائر، وفي تفاصيل هذه القضية يذكر المدني أن عدد الجزائريين المتواجدين فوق التراب التونسي نحو 250 ألف مهاجر عند الإعلان عن وقف إطلاق النار، وعند عودتهم إلى أرض الوطن إصطدموا بمشكل الصرف وتغيير العملة، وهذا بالنسبة لمن لديه أموال وعقارات، وأعلنت الحكومة التونسية أنها لا تستطيع تحويل العملة إلى الفرنك الفرنسي أكثر من نصف مليار فرنك، بينما أموال الجزائريين تقدر بثلاثة مليارات من الفرنكات.

على إثر هذا المشكل بعثت حكومة تونس رسالة إلى جامعة الدول العربية تطلب فيها المساعدة من الدول العربية الأعضاء لتجاوز هذه الأزمة التي من شأنها أن تحدث خللا في الحالة المالية والاقتصادية للجمهورية التونسية وعلى إثر ذلك اجتمعت الأمانة العامة للجنة الفنية للجزائر المشكّلة طبقا لقرار مجلس الجامعة في جلسته المنعقدة يوم 18 جوان 1962، وكان هذا الاجتماع يومي 20و21 جوان 1962، وأورد المدني محضرين** للاجتماع، وكان ممثل الجزائر في هذا الاجتماع توفيق المدني، وأخيرا بعد مجهودات بذلت من طرف المدني

* هي هيئة تنفيذية تتكفل بإدارة شؤون البلاد، تكونت من 12 عضوا (03 أوروبيين و9 جزائريين) وخمسة من أعضاء جبهة التحرير الوطني، وترأس هذه الهيئة عبد الرحمن فارس، للمزيد يرجى الاطلاع على: (ميلود سهام: علاقة الحكومة المؤقتة بقيادات جيش التحرير الوطني (سبتمبر 1958- مارس 1962)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2011، ص79.

[1]- المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص818.

** محضر الاجتماع الثاني يوم 23 جوان 1962 حضره كل من أحمد المشيري من تونس، توفيق المدني من الجزائر، محمد السجلماني من المغرب، سيد نوفل وصديق الخوجه من جامعة الدول العربية. ومحضر الاجتماع الأول بالإضافة إلى الأعضاء السابقين حضره السيد صلاح بن عبد الله المستشار بوزارة الخارجية التونسية، وكان بتاريخ 24 جوان 1962.

وأعضاء اللجنة تكفلت دولة الكويت بأن تودع لدى أحد البنوك في تونس في حساب غير مقيم تفتحه باسمها، مبلغا قدره ثلاثة ملايين جنيه إسترليني قابلا للتحويل[1].

ثالثا: موقف المدني من السلطة الشرعية في الجزائر

كانت عودة توفيق المدني إلى الجزائر يوم 15 جويلية 1962، وكان ما زال أمامه مهمة انضمام الجزائر رسميا إلى جامعة الدول العربية، لكي تتقدم بعد ذلك إلى العضوية في هيئة الأمم المتحدة، فوجد البلاد على وقع الخلافات المترتبة إثر انعقاد مؤتمر طرابلس في شهر جوان 1962، وانقسم كل فريق ونادى بأنه هو الحكومة[2].

من الواضح أن المدني أًصبح متأكدا بأن الكفة في ميزان القوى أَضحت في يد جماعة المكتب السياسي بقيادة "ابن بلة" و"هواري بومدين"، واعتبر المكتب السياسي هو السلطة الشرعية في البلاد بدون منازع، وهو المتكلم باسم جيش وجبهة التحرير الوطني، واتهم المدني حكومة "بن خدة" بارتكاب جرم إقصاء هواري بومدين عن مركزه.

على عكس ما جاء به المدني فإن سعد دحلب ذكر في كتابه "المهمة المنجزة"، أن بن خدة تفادى حربا أهلية كانت ستقع في الجزائر، وذلك بالتنازل على صلاحيات الحكومة المؤقتة إلى المكتب السياسي، وذلك في بيان رئاسة الحكومة م ج ج في 07 أوت 1962، ويعتبر بن بلة غازي للسلطة، وأنه كان يعمل حسب أهوائه[3].

أما "رضا مالك" فيذهب إلى القول بأن قرار بن خدة في نهاية جوان 1962 تنحية "هواري بومدين" من مركزه كرئيس لهيئة الأركان العامة، هو قرار متأخر فضلا عن كونه غير فعال طالما أن الحكومة المؤقتة لا تملك الوسائل لتطبيقه، وفي الحقيقة لم يكن الجيش الشعبي

---

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، ص ص 825...833.

[2]– نفسه، ص836.

[3]– سعد دحلب: المصدر السابق، ص193.

الوطني معزولا في الداخل، فقادة كل من الولاية الأولى والخامسة والسادسة كانوا إلى جانبه، وبعض المنشقين عن الولاية الثانية كانوا يقدمون له دعما قويا[1].

لكن ما دفع بومدين إلى مواجهة الحكومة المؤقتة كان التحالف الذي أقامه مع بن بلة في نهاية عام 1961، يوم كان هذا الأخير لا يزال في سجن أولنوى[2]، ومهما يكن فإن المدني وصل إلى تلمسان بعد أن اتخذ قراره بتزكية سلطة القرار، وهناك حصل على تفويض مطلق لطلب انضمام الجزائر إلى جامعة الدول العربية، وهو الأمر الذي قام به في القاهرة يوم 08 أوت 1962، ومما جاء في كلمته بعد قبول العضوية: «أن دخول الجزائر عضوا كاملا في حقل العائلة العربية الكبرى، متمثلة في جامعة الدول العربية، إنما هو تتويج مشرف لجهاد دام في أرض الجزار قرنا وثلث القرن»[3].

رابعا: استقدام المدني إلى الجزائر:

يتناول المدني في آخر كتابه "حياة كفاح (ج3)"، موضوع استقدامه إلى الجزائر من طرف "محمد خيضر" و"أحمد بن بلة"، وتكليفه بتولي وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بتاريخ 28 سبتمبر 1962، ويقول المدني في هذا الصدد: «وهكذا انقلبت من مناضل مجاهد حر إلى وزير، وابتدأت حياتي الجديدة يوم 28 سبتمبر 1962 بتعييني وزيرا للأوقاف والشؤون الدينية بدلا من وزارة المعارف»[4].ووعد المدني قرّائه بجزء رابع لفترة ما بعد الاستقلال في سلسلة "حياة كفاح"، لكن وافته المنية قبل أن يكمل كتابه*. وختم المدني كتابه بآية قرآنية من أواخر سورة البقرة: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»**.

---

[1]– رضا مالك: المصدر السابق، ص341.

[2]– نفسه، ص342.

[3]– عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص214.

[4]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 844-845.

* صورة للمدني قبل وفاته ، ينظر الملحق رقم06

** القرآن الكريم: الآية 286، سورة البقرة، ص49.

المأخذ في مذكرات حياة كفاح ج3 لأحمد توفيق المدني:

في ختام الدراسة التاريخية التحليلية المتواضعة جدا لكتاب حياة كفاح ج3 لأحمد توفيق المدني، سنحاول إعطاء لمحة تقييمية لهذا الكتاب ولو بشكل بسيط، وذلك نظرا للكم الهائل، سواء تعلق الأمر بعدد الصفحات أو المواضيع التي تناولها، وسنحاول إسقاط الضوء على ثلاثة جوانب كالآتي:

1-الجانب الشكلي 2-الجانب الموضوعي 3-الجانب المنهجي

أولا: الجانب الشكلي

يعد مؤلف أحمد توفيق المدني المندرج تحت عنوان: "حياة كفاح الجزء الثالث" مؤلف ضخم، نظرا لاحتوائه على 855 صفحة بما فيها المقدمة والفهرس حيث قسم المدني كتابه إلى أربعة أقسام، كل قسم فيه يدرس فترة زمنية معينة من الثورة التحريرية، فالقسم الأول يدرس فترة اندلاع الثورة التحريرية وإلى غاية سنة 1956، والقسم الثاني يدرس فترة 1956 – 1958، وجاء تحت عنوان "بالعالم العربي"، والقسم الثالث يدرس فترة ما بين سبتمبر 1958 وديسمبر 1959 وجاء تحت عنوان "وزارة الثقافة"، أما القسم الرابع والأخير، فيدرس الفترة الزمنية جانفي 1960 سبتمبر 1962، والذي جاء تحت عنوان: "التمثيل الدائم بجامعة الدول العربية".

وكباقي الأعمال لا يخلو عمل بشري من الأخطاء، وسنحاول إعطاء نماذج من الأخطاء المطبعية والتي نذكر منها:

- في الصفحة 95 كتب المدني يقول: «وكتبت في العدد 206 الصادر يوم 18 فيفري تحت عنوان "كتاب الأدغال"»، والحقيقة أن العدد 306 من جريدة البصائر، هو الصادر يوم 18 فيفري 1955 تحت نفس العنوان*.

- وكذلك نجد في القسم الثاني من الكتاب أخطاء في التواريخ من مثل: «يوم 30 عند الوصول استقبلنا في مطار جدة مدير تشريفات مكة ...» وفي الصفحة الموالية يذكر: «طفنا طواف الوداع... وذلك يوم 24 يوليو»*، وهذا تضارب في الأقوال والتواريخ.

* يرجى العودة إلى العدد 306 من جريدة البصائر.

– ونجد كذلك بعض الأخطاء في التواريخ بالنسبة للأحداث التي لم يكن طرفا فاعلا فيها، مثلا يذكر المدني في الصفحة 802 ما مفاده: «وفي أول يونيو 1960 ذهب وفد جزائري يتكون من السيد أحمد بومنجل ومحمد بن يحي إلى مولان بفرنسا ...»، والحقيقي أن تاريخ اتصالات مولان كما يذكر بن يوسف بن خدة ورضا مالك وغيره بأنه جاء في الفترة من 25 إلى 30 جوان 1960.

– ومن المآخذ كذلك اكتفائه (المدني) بوضع مجموعة من الصور كملاحق بشكل عشوائي، ولم يدرج المدني الملاحق الأصلية، وهذا يؤثر طبعا على مصداقية المادة العلمية من ناحية، ومن ناحية أخرى يجعل القارئ والباحث التاريخي تراوده الشكوك رغم كون المذكرات الشخصية تعتبر مصدرا تاريخيا.

– بالنسبة للأقسام نجد أن القسم الأول والثالث والرابع متقاربين بالنسبة لعدد الصفحات والمواضيع المطروحة، على غرار القسم الثاني الذي نال حصة الأسد في الكتاب بمقدار 417 صفحة، حيث جاء من الصفحة 159 إلى غاية الصفحة 576 وهو قسم كبير جدا.

– بالنسبة للفهرس جاء ضخما جدا، حيث احتوى على 308 عنوان ويعتبر ضخما جدا مقارنة بمذكرات أخرى كتبت للثورة التحريرية.

ثانيا: الجانب الموضوعي

يغطي الجزء الثالث من حياة كفاح مرحلة هامة من تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية 1954–1962، والذي أبرز فيه الكاتب مختلف الأنشطة السياسية والإعلامية التي شارك فيها أثناء تأدية مهامه الثورية، مسجلا تفاصيل دقيقة عن خلفيات بعض الصراعات ومبرزا حقائق دقيقة عن وجه جبهة التحرير الوطني.

والواقع أن ردود الأفعال على حياة كفاح بأجزائه الثلاثة قد تباينت واختلفت التعاليق ما بين الإشادة والانتقاد.

* ويقصد هنا تاريخ 30 جويلية 1957، يرجى العودة (المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 463–464).

ومن بين الذين انتقدوا مذكرات حياة كفاح بأجزائه الثلاثة محمد الطاهر فضلاء في كتابه "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح"، ونحن اليوم بصدد إعطاء وجهة نظرنا فيما يخص المواضيع التي تناولها المدني في حياة كفاح ج3، ونكتفي بذكر بعض المواضيع باختصار شديد.

مما جاء في القسم الأول بشأن اندلاع الثورة التحريرية، حاول المدني أن يثبت من غير دليل قاطع أنه كان على علم بتاريخ اندلاع الثورة التحريرية، وهو أمر صعب التصديق، خاصة وأن كل معاصريه من العلماء أكدوا عكس ذلك.

بالنسبة لأعداد البصائر التي ذكرها المدني فكتابه كلها تصور المدني على أنه ذلك المناهض للاستعمار من الوهلة الأولى لاندلاع الثورة على عكس الاتهامات التي وجهها بعض المؤرخين لموقف العلماء من الثورة التحريرية والذين وصفوهم بالمترددين.

بالنسبة للقسم الثاني من الكتاب والذي يغطي الفترة الزمنية 1956-1958 وهي فترة حساسة من تاريخ الثورة التحريرية، والتي تناول فيها المدني عدة مواضيع وإشكاليات، خاصة حالة الوفد الخارجي المتواجد في القاهرة وحجم الانشقاق الذي أصابه وعدم التفاهم فيما بينهم، وأوضح لنا المدني كيف حاول لم شمل الوفد، ولكنه ترك الأمر مبهما بشأن مجموعة الستة* التي يذكر في جلسة 03 جوان 1956 أن خيضر يؤيد عمل هذه اللجنة، وفي جلسة 13 أوت 1956 يذكر أن نفس الشخص يعارض عمل هذه اللجنة بشدة دون تقديم أدنى إشارة على ذلك.

وكذلك من المآخذ السلبية في مذكرات حياة كفاح الجزء الثالث تناوله لقضايا حساسة، وأزمات ألمت بالثورة التحريرية بشكل سطحي دون الخوض في الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ذلك، ومن مثال ذلك قضية اغتيال عبان رمضان، حيث تكلم عليها المدني في صفحتين اثنتين، باختصار شديد ووقف موقف المتحفظ دون الخوض في غمار هذه القضية رغم مرور

* وتتكون من: أحمد بن بلة، محمد بوضياف، محمد خيضر، حسين آيت أحمد، الدكتور الأمين دباغين، العربي بن مهيدي.

فترة زمنية معتبرة، وأنصف الطرفين (لجنة التنسيق والتنفيذ_ عبان رمضان) في آن واحد، وأن مصلحة الثورة اقتضت ذلك حسب اجتهاد أغلب رجال لجنة التنسيق والتنفيذ[1].

وفي القسم الثالث من الكتاب، حمل مسؤولية إخفاق الحكومة المؤقتة الأولى إلى شخص كريم بلقاسم دون البقية، وهذا في نظرنا تحيز لجهة دون أخرى، خاصة وأن كريم بلقاسم في الفترة التي ألّف فيها المدني مذكراته كان قد رحل عن هذه الدنيا –اغتيل–.

وختاما بذكر المآخذ السلبية في حياة كفاح الجزء الثالث تناوله لموضوع المكتب السياسي وشرعية السلطة في الفترة الانتقالية، حيث أظهر ميوله إلى جانب السلطة الشرعية في البلاد دون سواها، وكانت حجته في ذلك أن بن يوسف بن خدة وحكومته أخطأت حين حاولت عزل هواري بومدين من منصبه على رأس هية الأركان، ونحن نعتبر هذا ميولا للسلطة، وليس سردا للحقيقة التاريخية.

ورغم المآخذ السلبية الكثيرة في مؤلف حياة كفاح ج3 إلا أنه يعتبر مصدرا هاما من مصادر تاريخ الثورة التحريرية الذي اعتمده الكثير من الباحثين في إتمام بحوثهم.

ثالثا: الجانب المنهجي

تعد كتابة المذكرات عملا جديدا في الحياة الفكرية والسياسية بالجزائر، وعن أهمية كتابة المذكرات، كتب الدكتور بشير التليلي «أن فائدة وإسهام وأهمية مذكرات وذكريات الشخصيات السياسية المغاربية بالنسبة لدراسة الوثائق تهم جوانب معينة من التاريخ، ولو اتسمت بالحماس والهوى والتحزب والتوجيه والذاتية النابضة بالحياة، ولو شحنت بالتفاصيل والمشاعر فإنها تمد وبتدقيق المؤرخ بأضواء وتأويلات وكشوف ومعطيات، ووثائق مبتكرة لم تنشر من قبل، وعناصر هوية أخرى، اعترافات وأبعاد أخرى، ومعلومات غير التي تنقلها نصوص الأرشيفات»[2].

[1]– المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 575–576.

[2]– نقلا عن: عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص233.

وحسب الدكتور بشير التليلي دائما فإنه مما قد يعاب على المدني، هو ذكره باستمرار نشاطاته أثناء مذكراته معتقدا أن ذلك يعد متطلبا من متطلبات فن المذكرات، يبرره في الغالب الدور الذي يقوم به المناضل المسؤول عن حركة في طور تكوينها، وعلاوة على ذلك لا يستطيع المؤرخ أن يناهض التقديرات وشهادات مناضلي العصر بل هو بخلاف ذلك يسعى إلى المطالبة بها والبحث عنها.

وجاء في رأي الدكتور عمر بن قينة: أن صفة النرجسية مثل سمة المبالغة تعدان من خصائص التعبير لدى المدني في كتاباته وخطاباته، وحتى في حديثه لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وهي أمور تتعلق بالمكونات النفسية للشخصية وتلك النزعة وغيرها من العيوب البشرية التي قد تكون في كل امرئ هي مما ألّب عليه بعض معاصريه خاصة ممن كانوا في جمعية العلماء[1].

إن هذه الآراء لا يشاطرها الدكتور محمد الهادي الحسني الذي يعتقد أن سمة المبالغة التي وصف بها المدني من طرف البعض هي أمر طبيعي جدا، إذ أن مسألة الاعتزاز بالأنا مطروحة لدى كل الناس ولكن بدرجات متفاوتة[2].

ونحن بدورنا لا نشاطر محمد الهادي الحسني في طرحه بل نرى أن ما ذهب إليه الدكتور بشير التليلي هو ما ميز المدني في كتاباته، ويضاف إلى ذلك أسلوب التعظيم في ذكر الشخصيات العربية، وميوله إلى الخطابات الحماسية واستعمال العبارات الرنانة.

ومما يؤخذ على كتابته كذلك استعماله الأسلوب الأدبي الذي أضحى بارزا، حيث استخدم الزخرف اللفظي، من محسنات بديعية وصور بيانية كالتشبيه ممثلا في الصفحة 76 بقوله: «فهي تشق الطريق في ذلك البحر الآدمي الزاخر، كما تشق السفينة طريقها ...».

وفي نفس الصفحة نجد الاستعارة بقوله: «... فيلتحم الماء وراءها» وقوله: «... تكلم قلبي ...».

---

[1]– عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص239.

[2]– نفسه، ص239.

وكثيرة هي الأمثلة الموجودة في الكتاب والتي نجدها تميل إلى الأدبية أكثر من ميولها إلى الأسلوب البسيط الذي يتوجب لسرد الأحداث التاريخية.

وكذلك من بين المآخذ التي تحسب على المدني ميولاته المتناقضة وهناك طرحان:

الطرح الأول: كونه مستاء لزوال الخلافة العثمانية وحاقدا على شخص "الشريف حسين"

الطرح الثاني: يدعوا إلى القومية العربية والعروبة ويعتز بذلك.

ونفسر ذلك التناقض في كونه يفتخر بأصَوله العثمانية ويحن إلى ذلك العهد من جهة، واعتزازه بإتقانه اللغة العربية أكثر من غيره، وعلاقاته الجيدة مع زعماء القومية العربية (جمال عبد الناصر) من جهة ثانية.

وتعليقا على المذكرات بأجزائها الثلاثة خلص أحد الكتّاب إلى اعتبارها أهم ما كتب من الكتابات التاريخية وأن المؤرخ أو الدارس للتاريخ لا بد له أن يمتلك هذا المؤلف الشهير.

وخلاصة القول أن ما قدمه المدني عبر هذه المذكرات (حياة كفاح ج3) يشكل تجربة إضافة إلى التجارب القلائل على الساحة الوطنية فيما يتعلق بهذا الفن، وبقدر ما تضمنت من نقاط إيجابية ورصيد تاريخي موثق فإنها بلا شك لا تخلو من بعض المآخذ باعتبارها عملا بشريا أولا وأخيرا، وكل عمل أو بحث تاريخي أو مذكرات تتعرض للنقد فهي بلا شك تثير مجال المناقشة وهذا سيؤدي بطبيعة الحال إلى كتابة التاريخ بموضوعية والابتعاد عن الذاتية والميولات الشخصية وترك إرث تاريخي للأجيال القادمة.

الخاتمة

من خلال تناول هذا الموضوع بناءا على مختلف جوانبه التي رسمناها وفق خطة الدراسة، توقفنا أمام حقائق كثيرة في مذكرات حياة كفاح الجزء الثالث وعليه خلصنا إلى النتائج التالية:

– كرس أحمد توفيق المدني جهوده منذ شبابه في سبيل الإصلاح الديني وإحياء اللغة العربية، ومحاربة الاستعمار، أهلته للالتحاق بالثورة وتقلده مناصب حساسة فيها.

– المواقف المشرفة للمدني ولجمعية العلماء من الثورة التحريرية والالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني رغم تأخرها قليلا وذلك راجع لعدة اعتبارات، خاصة أن اندلاع الثورة التحريرية جاءت مفاجئة للجميع.

– تناولت مذكرات حياة كفاح الجزء الثالث أغلب المراحل التي مرت بها الثورة التحريرية من الاندلاع إلى غاية الاستقلال خاصة الجانب الدبلوماسي منها.

– من خلال هذه المذكرات تم إبراز الدور الذي لعبه الوفد الخارجي في المجال الدبلوماسي للثورة التحريرية، رغم الصعوبات التي مر بها والانشقاق الذي كان واضحا في التشكيلة الأولى والثانية.

– من خلال هذه المذكرات تم إبراز الدور الذي لعبه مؤتمر الصومام في التنظيم والهيكلة بشهادة أحد أعضاء الوفد الخارجي والمتمثلة في شخصية المدني.

– استطاع المدني أن يعطينا صورة عامة على التشكيلة الأولى للحكومة المؤقتة، وأهم الصعوبات التي واجهتها، وكذلك أهم الأعمال التي قامت بها وزارة الثقافة (من أكتوبر 1950 إلى غاية ديسمبر 1959) والتي كان على رأسها.

– ابتعاد المدني عن الخوض في الصراعات التي أعاقت في كثير من الأحيان عمل جبهة التحرير الوطني.

– من خلال هذه المذكرات تم إبراز الدور الذي لعبته جامعة الدول العربية، والمساعي التي قام بها المدني في هذه الهيئة في سبيل كسب الدعم المادي والمعنوي للثورة التحريرية.

– اهتمام الكاتب بالكثير من التفاصيل الغير مهمة خاصة الخطابات التي يلقيها، وإهمال ذكر بعض القضايا المهمة من تاريخ الثورة التحريرية، أو تناولها بشكل سطحي.

– تناول الكاتب بعض القضايا التي لم يكن طرفا فاعلا فيها من مثل مؤتمر الصومام، وكذلك مراحل المفاوضات، وبالنسبة لهذه الأخيرة لاحظنا أنه لم يكن دقيقا في ذكر بعض الشخصيات الفاعلة فيها، وكذلك لم يكن دقيقا في ذكر تاريخ بعض الاتصالات.

– رغم القيمة التاريخية الكبيرة التي تحظى بها مذكرات حياة كفاح الجزء الثالث، إلا أنها لم تخلو من بعض النقائص والمآخذ السلبية خاصة فيما تعلق باستعمال الكاتب للأسلوب الأدبي الذي طغى على المذكرات في سرد الأحداث.

– رغم ما ذكره المدني في مذكراته بابتعاده عن الذاتية، وسرده للأحداث بموضوعية إلا أن ذاتيته كانت واضحة في مذكراته، وذلك من خلال محاولته إبراز دوره في الثورة، وإعطاء وتقديم صورة ذلك الشخص المنقذ الذي يظهر دائما في النهاية من خلال طرحه للحلول الصائبة.

– رغم أن المدني يظهر دائما بمظهر الداعي إلى اتحاد الدول العربية في مواجهة الاستعمار، وينادي بالقومية العربية، إلا أنه لم يخفي ميولاته وحنينه إلى الخلافة العثمانية.

– ساند المدني في الفترة الانتقالية المكتب السياسي، وجعل السلطة الشرعية في يد كل من بن بلة وهواري بومدين، وأقصى بن يوسف بن خدة وحكومته بحجة أن هذا الأخير أخطأ في محاولة عزل بومدين من مركزه على رأس هيئة الأركان.

– وفي الأخير تبقى مذكرات حياة كفاح الجزء الثالث لصاحبها أحمد توفيق المدني، تدوّن شهادة أحد الفاعلين في الثورة التحريرية، خاصة في المجال الدبلوماسي والإعلامي، وتعطي للباحثين تفاصيل دقيقة عاشها الكاتب وصوّرها من وجهة نظره، وهذا حتما ساهم في كتابة تاريخ الثورة التحريرية خاصة، وتاريخ الجزائر عامة، وذلك بالأخذ بجميع الرؤى والمشارب الفكرية والثقافية، ومختلف التيارات السياسية، والشهادات التي تركها أصحابها.

الملاحق

الملحق رقم (01): شهادة ميلاد أحمد توفيق المدني

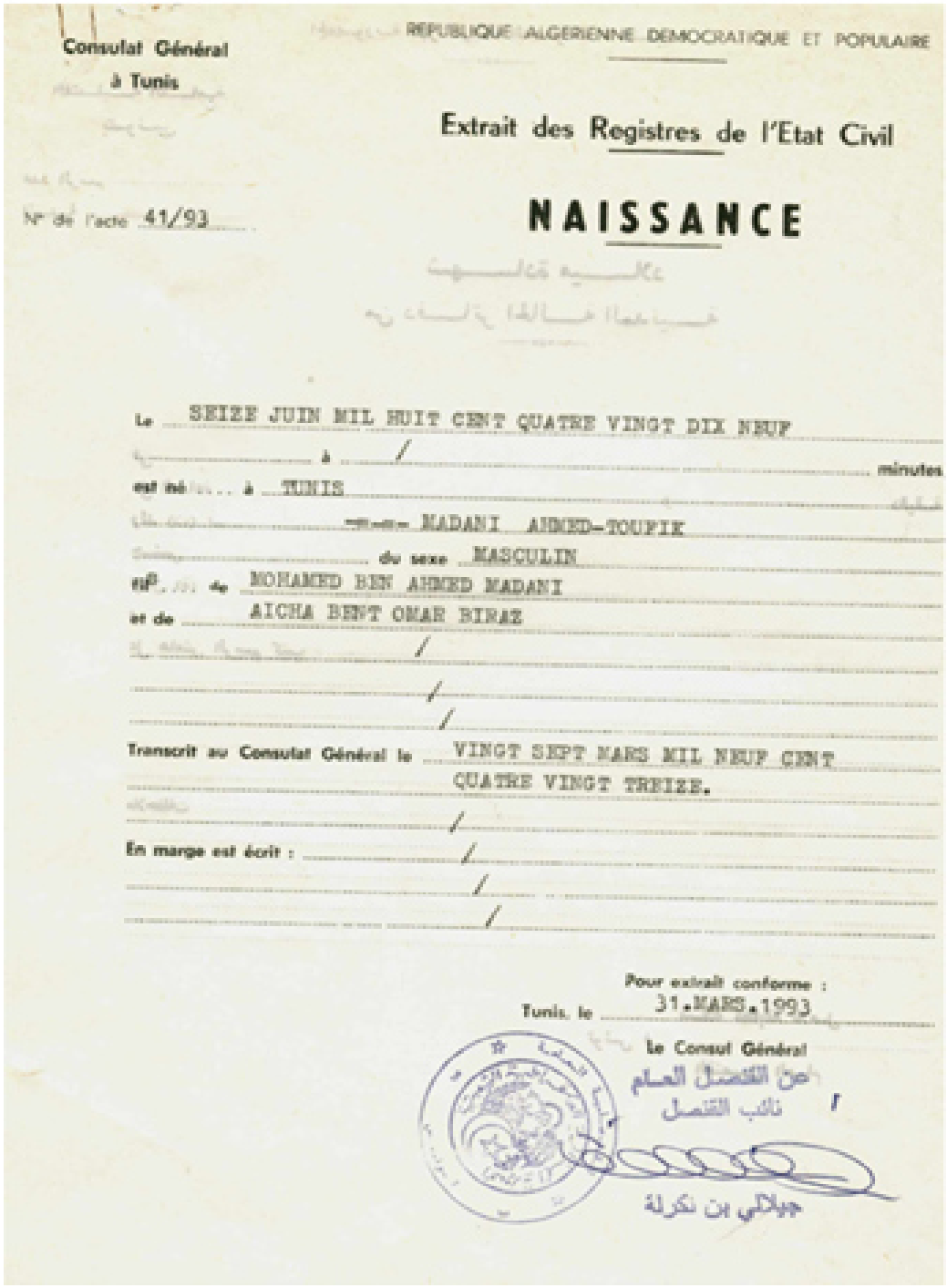

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

Consulat Général
à Tunis

Extrait des Registres de l'Etat Civil

N° de l'acte 41/93

NAISSANCE

Le SEIZE JUIN MIL HUIT CENT QUATRE VINGT DIX NEUF
à /
minutes
est né à TUNIS
MADANI AHMED-TOUFIK
du sexe MASCULIN
fils de MOHAMED BEN AHMED MADANI
et de AICHA BENT OMAR BIRAZ
/
/
/
Transcrit au Consulat Général le VINGT SEPT MARS MIL NEUF CENT QUATRE VINGT TREIZE.
/
En marge est écrit : /
/
/

Pour extrait conforme :
Tunis, le 31.MARS.1993
Le Consul Général
عن القنصل العام
نائب القنصل
جيلالي بن نكرلة

المصدر: خليفي عبد القادر: أحمد توفيق المدني ودوره..، المرجع السابق، ص 261

الملحق رقم (02): حوادث الليلة الليلاء

العدد ٢٩٢ السنة السابعة من السلسلة الثانية — N° 292 — ثمن النسخة ٣٠ فرنكا

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

شعارها العروبة والاسلام

المدير وصاحب الامتياز المسؤول

عنوان الجريدة: « البصائر » نهج بومبي رقم ١٢ بالجزائر

رقم التلفون: ١٧-٢٧٨

الحساب الجاري بالبريد: ٥٣٩/٧٣

« EL-BASSAÏR »

Journal hebdomadaire

ORGANE DE L'ASSOCIATION DES OULAMAS D'ALGERIE

12, Rue Pompée — ALGER

Téléph. : 278-17

C.C.P. 519-19 — R.C. Alger 7123

المولد النبوي الشريف

* يحتفل المسلمون كافة يوم الاثنين الآتي ١٢ ربيع الأول بذكرى مولد منقذ الانسانية من الاستعباد والوثنية ، هادم الطواغيت وناصر المستضعفين ، امام المرسلين سيدنا محمد رسول الرحمة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

و« البصائر » تهنيء المسلمين عامة بهذه الذكرى المباركة ، وترجو الله ان يوحد كلمتهم ويؤلف بين قلوبهم ، كما وحد والف بين أسلافهم من قبل .

يوم الجمعة ٩ ربيع الاول ١٣٧٤ هـ — تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع — الموافق ٥ نوفمبر ١٩٥٤ م

حوادث الليلة الليلاء ...

١ نفامبر ١٩٥٤

فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة ، وقعت كلها ما بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من صبيحة الاثنين غرة نفامبر ، وهو عيد ذكرى الأموات ، ولقد بلغ عدد تلك الحوادث ما يزيد عن الثلاثين ، ما بين الحدود التونسية وشرقي عمالة وهران ، الا ان عمالة قسنطينة وخاصة جهاتها الجنوبية كانت صاحبة القسام الأول فيها وكادت تتركز الحوادث في جهات جبال اوراس ، في خط يسير من باتنة الى خنشلة ، ثم يشمل الجنوب

وتلي عمالة قسنطينة بعض جهات عمالة الجزائر ، كبلاد القبائل والعاصمة الجزائرية وبوفاريك

اما الى حد هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث ، واسبابها ، وليس بين أيدينا الا ما تناقلته الصحف وشركات الأخبار ، فلا نستطيع ان نعلق عليها ادنى تعليق ، الى ان تتبين لنا طرق الصواب . فليس من شأن « البصائر » ان تتسرع في مثل هذه المواطن

لكننا من جهة اخرى ، رأينا انه لا يمكن ان يخلو هذا العدد من جريدتنا من ذكر هذه الحوادث التي تناقلت صحف العالم بأسره تعاليقها ، فقررنا الاكتفاء بذكر اهمها ، تاركين الزمن كشف الملابسات عن اسرارها ، والسوف تتبع ذلك بداية الدقة والاهتمام

* مدينة الجزائر : انفجرت قنبلة من الصنع المحلي امام بوابة راديو « الجزائر » فأحدثت به اضرارا ، وقد وجدت قنبلتان لم تنفجرا

ووقعت محاولة احراق مستودع زيت الوقود الذي يملكه مسيو موري ، والذي يخزن قمباية لمئات من البترول في شارع ديسان ، ولقد تنبه الحرس والمئات النيران ولم تقع الكارثة

* في مدينة بوفاريك : انفجرت قنبلة في مستودع خزن الفواكه فخاخرق المستودع الذي تبلغ قيمته خمسة ملايين واحرقت الصناديق الخشبية المعدة للتصدير ، وقيمتها ٢٥ مليونا

* في بابا علي : وقع احراق معمل الورق وتمكنت فرق المطافيء بعد جهد جهيد من اخماد النيران

* في مدينة العزازقة : وقعت مهاجمة دار البلدية ورميت بسبعة واربعين رصاصة تبين انها من رصاص البنادق الطليانية صنع سنة ١٩٤٦

وفي الوقت نفسه وقع اشعال النار في مستودع البهتن « قشر الفرنان » الذي تملكه ادارة الغابات والمياه ، فكانت الخسائر به عظيمة جدا ، والتهمت النيران ، وبلغت قيمة الخسائر نحو الخمسين مليونا

ولقد حدثت في ذلك الوقت اعمدة الاسلاك التابعة لادارة البريد فأصبحت المدينة في عزلة تامة

* في بقية بلاد القبائل الكبرى ، وحول سدف وقرى : بوغني — دلس بوراك — برج امقايل — ابرير وغيرها وقع تحطيم واتلاف اعمدة الاسلاك التلفونية

* في ذراع الميزان : وقع التحام قتل فيه احد حراس الغابة

* البقية على (ص ٢)

تهنئة جمعية العلماء للمسلمين لرئيس الحكومة المصرية

بنجاته من حادث الاعتداء

ان جمعية العلماء والشعب الجزائري يفدعون الى سعادتكم والشعب المصري والشعوب العربية خالص التهاني . على اخفاق الاعتداء الاجرامي الاثيم الذي حاول ان يحول الأماني النجيبة في تطور الشعوب العربية تحت قيادتكم الجريئة - الى شعب وحزن ...

نسأل الله ان يحمي الثورة ويعز ابطالها لتحقيق اهدافها النبيلة .

الامضاء عن جمعية العلماء العربي التبسي

رفع مستوى العامل الجزائري

تعتبر قدرة العامل على الشراء في مجتمع من المجتمعات الجديدة عنوانا على استقرار النظم الاجتماعية فيه ، ومظهرا من مظاهر الرقي العام ، وهذا انما يتم وشيك بايجاد العمل لكل فرد من افراد المجتمع اولا ، ثم منح العامل الاجر الذي يخول له الحصول على ضروريات حياته كلها بحيث يشبع بأكله ومشربه وملبسه ومسكنه وضروريات من يعول من الاهل والبنين

واذا جاء في بعض التصريحات الرسمية اخيرا ما هو دعوة الى رفع مستوى العامل في الجزائر والحاقه بمستوى العامل بفرنسا حتى يتساويا في الاجر والاقتدار على الشراء فاذا نحن نعد هذه الدعوة اعترافا صريحا بما في الجزائر من غمط واجحاف بحقوق العامل الجزائري سواء أكان من عمال الصناعة او التجارة ام من عمال الفلاحة ؟

ولكن لا يكفي ازالة الصدع وجبر الكسر وازالة الحيف في هذا الميدان ميدان العمل بالجزائر ان يدعى الى رفع مستوى طائفة من العمال الجزائريين وتحسين حالهم فحسب بل الحل مشكلة العمل في الجزائر يتوقف على ايجاد العمل لهذا الجيش العامل الذي تزخر به شوارع المدن الجزائرية وتأثث منه جموع للتشرد ربما ضاقت عنها البادية والحاضرة على السواء ، وهي ظاهرة خاصة بالعنصر الأهلي ، اما العنصر الأوربي فهو في عيشة راضية

وان فرنسا نفسها التي اصبحت موئلا لملايين منهم لم ينجح فيها من المهاجرين الجزائريين اليها الا عدد ضئيل لا يحل المشكلة ولا يبشر بخير للجزائر ما دامت هي خلوا من الاعمال الكبرى

وقد كثر الكلام في هذه المدة الاخيرة عن هذه الهجرة المزعجة كثرة ربما حاول المسئولون هنا ان يتذرعوا منها صوتا والحيلة لالهاء الشعب عن مطالبتهم بالبحث عن حل للأزمة عادل في الجزائر لا في خارجها ، فأكثر المحاضرات والتقارير والمقالات التي عالجت الموضوع كانت تتوارد على تعليل واحد للظاهرة وهو زيادة النسل في الجزائر ومضاعفة سكانها ، واذا ما زادت على هذا شيئا اشارت الى التجهيز الصناعي والتنظير حدوثه فوق رمال الصحراء ، ولوحت به كحل للمشكلة

اما ان تشير الى العين الاجتماعي القائم ، في البلاد منذ عهد بعيد والى الوضع الشاذ الذي جعل الحياة الاجتماعية الجزائرية تسير سيرا اعرج ، ومكن للاجانب فوضع في ايديهم كل مقاليد الحياة الاقتصادية وضعا كان من نتائجه الأولى ما يتخبط فيه مجتمعنا من مشاكل اجتماعية واوضاع متناقضة متناكسة — فمما لاتريد ان نحوم حوله عاقبة الغضاب الاستعمار او النيل من سياسة الاحتكار .

في فرنسا اليوم تشريع اجتماعي فيما يخص المنح العائلية ، فلماذا لايطبق بحذافيره على الجزائر تحقيقا لمزعم القائل بأنها فرنسية ، وقد خول هذا التشريع هناك تقديم المنحة العائلية لكل عامل سواء ابقي في عمله ام تخلى عنه لسبب قاهر ؟ كما خصص له مبلغا

* البقية على (ص ٣) *

يوم الاحد ١٤ نفامبر

افتتاح مدرسة الشريعة الجديدة

تتشرف « مدرسة الحياة » بالشريعة (حوز ليسة) باعلام الأمة الجزائرية بانها ستقيم احتفالا عظيما تحت رئاسة الاستاذ الجليل الشيخ العربي التبسي ورجال جمعية العلماء يوم الاحد ١٤ نفامبر ١٩٥٤ وذلك بمناسبة افتتاح (مدرسة الحياة) القديمة الجديدة الفسيحة التي تم بناؤها اخيرا

وجمعية الحياة تبعث بها دعوة عامة الى جميع العناصر الاصلاحية في كافة انحاء القطر الجزائري راجية من كل مسلم ان يشاركها ويشجعها في هذا الحفل التنصيبي العظيم

جمعية الحياة

المصدر: جريدة البصائر، العدد 292، 05 نوفمبر 1954

الملحق رقم (03): إسهامات المدني في جريدة البصائر من خلال مذكرات حياة كفاح

الجزء الثالث

عنوان المقال	جريدة	العدد	تاريخ الصدور	الصفحة
الجزائر فوق كف عفريت	البصائر	297	17 ديسمبر 1954م	94-93
كتاب الأدغال	البصائر	206	18 فيفري	95
/	البصائر	308	4 مارس 1955	101-99
الاعتراف الخطير	البصائر	311	دون تاريخ	102-101
جابهوا الحقيقة بشجاعة وحزم	البصائر	313	دون تاريخ	103
حوار مع جريدة الجمهورية	البصائر	319-318	13و20 ماي 1955	102-103
ظلمات بعضها فوق بعض	البصائر	321	3 جوان 1955	115-112
ليس فيكم رجل شديد	البصائر	327	15 جويلية 1955	119-115
لا رجوع إلى الوراء	البصائر	332	9 سبتمبر 1955	121-119
مصادرة جديدة	البصائر	336	7 أكتوبر 1955	123-121
نحن لا نطلب صدقة بل نريد حقا	البصائر	330	دون تاريخ	127-123

المصدر: من إعداد الطالبين (حاجي – مالك)

الملحق رقم (04): المؤتمر الصحفي بالقاهرة (1956م)

المؤتمر الصحفي بالقاهرة (1956م)
أحمد توفيق المدني يلقي تصريحه وعلى يمينه الأستاذ محمد خيضر رحمه الله وعلى يساره الأستاذ عبد الرحمن كيوان.

المصدر: حياة كفاح، ج3، ص 185

الملحق رقم (05): أعضاء الحكومة المؤقتة الأولى للجمهورية الجزائرية

في يوم 19 سبتمبر 1958 قررت لجنة التنسيق و التنفيذ لجبهة التحرير الوطني الجزائري تشكيل أول حكومة جزائرية مؤقتة في القاهرة ، و تتكون هذه الحكومة من:

1-رئيس مجلس الحكومة.....فرحات عباس

2-نائب رئيس الحكومة و وزير القوات المسلحة.....كريم بلقاسم

3-نائب رئيس الحكومة (في السجن).....أحمد بن بلة

4-وزراء الدولة (المسجونين في فرنسا).....حسين ايت أحمد

بيطاط رابح

محمد بوضياف

محمد خيضر

5-وزير الشؤون الخارجية.....محمد الأمين دباغين

6-وزير التسليح و التموين.....محمود الشريف

7-وزير الداخلية.....لخضر بن طوبال

8-وزير الاتصالات و الاستخبارات.....عبد الحفيظ بوصوف

9-وزير شؤون شمال افريقيا.....عبد الحميد مهري

10-وزير الشؤون الاقتصادية و المالية.....أحمد فرنسيس

11-وزير الاعلام.....محمد يزيد

12-وزير الشؤون الاجتماعية.....بن يوسف بن خدة

13-وزيرالشؤون الثقافية.....أحمد توفيق المدني

14-كتّاب الدولة (المحاربون في الجبال).....الأمين خان

عمر أوصديق

مصطفى سطمبولي

المصدر: عمار بوحوش: التاريخ، المرجع السابق، ص ص 584-585

الملحق رقم (06): صورة أحمد توفيق المدني

المرجع: www.elmadani.org

الملحق رقم (07): صورة لغلاف الكتاب

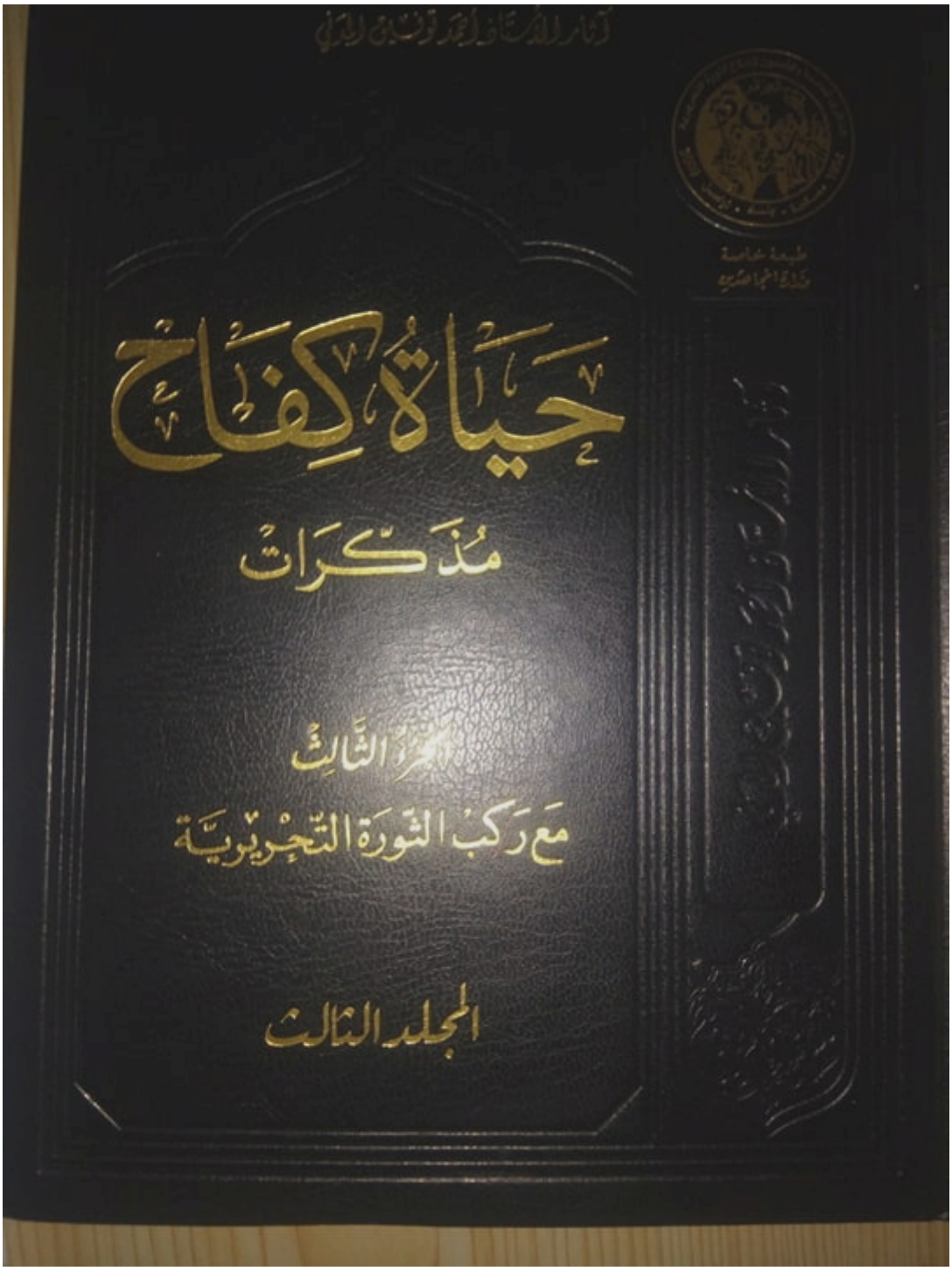

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

- القرآن الكريم

1- الكتب العربية:

1)أحمد توفيق المدني: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، طبعة خاصة، دار المعرفة، الجزائر، 2010.

2)أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

3)أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

4)أحمد توفيق المدني: حنبعل رواية تاريخية، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

5)أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ج1، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2008.

6)أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ج2،ط خ،عالم المعرفة،الجزائر،2010.

7)أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3،ط خ،دار عالم المعرفة للنشر،الجزائر،2010.

8)أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

9)أحمد توفيق المدني: محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

10) أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

11) أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

12) أحمد توفيق المدني:محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، طبعة خاصة، عالم المعرفة، 2010.

13) أوليفي لونغ: الملف السري –اتفاقيات إيفيان، تر: أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.

14) بن يوسف بن خدة: جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، الطبعة الثانية، دار الشاطبية للنشر، الجزائر، 2012.

15) بن يوسف بن خدة: نهاية حرب التحرير –اتفاقيات إيفيان، تر: لحسن زغدار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

16) سعد دحلب: المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، ط خ، دحلب للنشر والتوزيع، دت.

17) سعد دحلب: المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، 2007.

18) الطيب عبادلية: مذكرات المجاهد القائد الميداني الوردي قتال، دار الألمعية للنشر، الجزائر، 2018.

19) علي كافي: من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946–1962، ط1، دار القصبة، الجزائر، 1999.

20) فرحات عباس: ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005..

21) الفضيل الورتيلاني: الجزائر الثائرة، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دار الهدى، الجزائر، 2004.

22) مبروك بلحسين: المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر–القاهرة) 1954–1956، تر: الصادق عماري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

23) محمد حربي: الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994.

24) محمد حربي: جبهة التحرير الأسطورة والواقع ، ترجمة كميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر، لبنان، 1983.

25) محمد خير الدين: مذكرات الشيخ خير الدين، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.

2- الكتب الأجنبية:

26) Mohamed Harbi : Les archives de la révolution algérienne, les éditions jeune Afrique.

ب- المراجع:

1- الكتب العربية:

27) إبراهيم لونيسي: الصراع السياسي داخل جبهة التحرير الوطني خلال الثورة التحريرية 1954-1962، ط1، دار هومه، الجزائر، 2015.

28) أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007.

29) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998.

30) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

31) أبو القاسم سعد الله: حاطب أوراق، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

32) أحمد حمدي: الثورة الجزائرية والإعلام، ط2، (ددن)، الجزائر، 1996.

33) أحمد سعيود: العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني 1954-1958، ط1، دار الشروق، الجزائر، 2009.

34) أحمد منصور: الرئيس أحمد بن بلة يكشف أسرار ثورة الجزائر، ط2، دار الأصالة، الجزائر، 2009.

35) بسام العسلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت.

36) بشير ملاح: تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، ج1، دار المعارف، الجزائر، 2006.

37) بوطيبي محمد: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية، دط، دار الهدى، الجزائر، 2012.

38) بوعلام بلقاسمي وآخرون: موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، منشورات م و د، والبحث في ح و وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007.

39) بوعلام بلقاسمي: موسوعة أعلام الجزائر 1954-1962، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007.

40) جمال قندال: إشكالية تطور وتوسع الثورة الجزائرية 1954-1956، ج2، ط1، دار ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

41) حفظ الله بوبكر: التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962.

42) خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939، ط2، دار كردادة، الجزائر، المرجع السابق.

43) خير الدين شترة: الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة 1900-1956، ج1، ط2، دار كردادة، الجزائر، 2013.

44) رابح لونيسي: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، ط1، كوكب العلوم، 2009.

45) رابح لونيسي: دراسات حول إيديولوجية وتاريخ الثورة الجزائرية، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012.

46) راغب السرجاني: قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011، ط1، القاهرة، 2011.

47) زهير إحدادن: المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

48) عبد الحميد زوزو: محطات في تاريخ الجزائر، دار هومه للنشر، الجزائر، 2004.

49) عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

50) عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)، ط1، دار الشهاب، بيروت، لبنان، 1999.

51) عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني- النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899-1983، ط1، دار المحابر، 2013.

52) عبد الله ريغي: أحمد فرنسيس (1910-1968) دكتور في السياسة، تر: عمار زروقي محمد، منشورات ANEP، الجزائر، 2013.

53) عبد المجيد بلخروبي: ميلاد الجمهورية الجزائرية والاعتراف بها، تر: العربي بونيون، دط، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

54) عبد الوهاب شلالي: المنظمة الخاصة ومؤامرة تبسة، دراسة تاريخية موثقة، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر.

55) العربي الزبيري: كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954-1962، منشورات الوطن للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

56) عقيلة ضيف الله: التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962 ، ط1، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013.

57) عمار بوحايدة: بومدين والآخرون: ما قاله وما أثبتته الأيام، دار المعرفة، الجزائر، 2008.

58) عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2005.

59) عمر بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1954-1960).

60) عواطف عبد الرحمن: الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

61) فضيل دليو: تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة (1830-2013)، ط1، دار هومه، الجزائر.

62) قدري قلعجي: ثلاث من أعلام الحرية: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، سعد زغلول، ط1، دار الكاتب العربي، بيروت، دت.

63) محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة أمحمد بن البار، الجزء الثاني 1939-1951، دار الأمة، الجزائر، 2011.

64) محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول.

65) محمد العربي الزبيري: قراءة في كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر، (دط)، (د د ن)، الجزائر، 2007.

66) محمد بن رمضان شاوش وآخرون: إرشاد حائر إلى آثار أدباء الجزائر، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2011.

67) محمد بن ساعو: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954-1962، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2016.

68) محمد صالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2002.

69) محمد علوي: قادة ولايات الثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، دار علي بن زيد للنشر، الجزائر، 2013.

70) مريم الصغير: مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2012.

71) مصطفى عبيد: مجلة البحوث العلمية التاريخية، مج2، ع5، الجزائر، 2018.

72) ميلود سهام: علاقة الحكومة المؤقتة بقيادات جيش التحرير الوطني (سبتمبر 1958-مارس 1962)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2011.

73) نور الدين أبو لحية: جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط2، 2009، دار الأنوار، 2016.

74) هادية صيود: أحمد توفيق المدني من الوسط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه (حياة كفاح)، مج8، ع1، جامعة منوبة، تونس، 2008.

75) الوناس الحواس: نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1954، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012.

2- الكتب الأجنبية:

76) benjamin stora, ZAKYA Daoud : Ferhat Abbas une autre algérien, édition casbah, Alger, 1995.

77) Yev courriere : La guerre d'Algerie, T2, le temps de l'eopords, casbah edition, alger, 2005.

ج- الجرائد والمجلات:

78) البصائر: الجزائر فوق كف عفريت، العدد297، 17 ديسمبر 1954، الجزائر.

79) البصائر: بيان من الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، العدد 174، الجزائر، 19 نوفمبر 1951.

80) البصائر: حوادث الليلة الليلاء، االعدد292، 05 نوفمبر 1954.

81) البصائر: كتاب الأدغال، العدد306، 18 فيفري 1955، الجزائر.

82) البصائر: لا رجوع إلى الوراء، العدد232، 9 سبتمبر 1955، الجزائر.

83) الشهاب: "قرطاجنة في أربعة عصور"، العدد92.

84) الشهاب: «تقويم المنصور لسنة 1345هـ/1926م»، العدد31.

85) صالح فركوس: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة الجزائرية (1954-1962)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد28، ديسمبر2007، الجزائر.

86) عبد القادر فكاير: التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر والمواقف الوطنية منها، مجلة المصادر، العدد15، الجزائر، 2007.

87) عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموقفها من ظهور الحركة البربرية في الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 63-64، جويلية 1991.

88) الفتح: العدد 289، 10 مارس 1932.

89) المجاهد: رسالة الطلبة والعمال في الثورة، العدد54، بتاريخ 01-11-1959.

د- المذكرات والرسائل الجامعية:

90) أميرة بوعزيز: أحمد توفيق المدني ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1925-1954، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قالمة، 2016-2017.

91) بكاكرية جودي: المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفة الأشرف، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2008-2009.

92) عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة ، 2007.

93) كريمة عرعار: دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، باتنة، 2006.

94) محمد بوطليبي: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008.

هـ- القواميس والمعاجم:

95) مقلاتي عبد الله: قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.

ملخص:

تعتبر مذكرات "حياة كفاح" الجزء الثالث لصاحبها "أحمد توفيق المدني" مصدرا مهما في تاريخ الثورة الجزائرية، إذ يعدّ صاحبها من أبرز المثقفين الجزائريين في القرن العشرين، عايش أحداث الثورة وكان طرفا فاعلا فيها، وهذا ما جعلنا نتناول هذه المذكرات بالدراسة والتحليل لمختلف النشاطات السياسية والدبلوماسية منذ اندلاع الثورة التحريرية إلى غاية الاستقلال، والتي أماطت اللثام على بعض الجوانب سواء تعلق الأمر بموقف جمعية العلماء المسلمين من الثورة، أو نشاط الوفد الخارجي، وكذلك جوانب من نشاط الحكومة المؤقتة الأولى، وبجامعة الدول العربية، تتخللها أحداث ووقائع بارزة وتفاصيل دقيقة أسالت الكثير من الحبر.

ورغم أن المدني حاول الابتعاد في كثير من الأحيان عن الخوض في الصراعات، واكتفى بذكر الأزمات التي ألمت بالثورة أثناء هذه الفترة، إلا أنه لم يستطع أن يخفي ميولاته وتوجهاته وجانب من ذاتيته، التي ألّبت عليه الكثير من معاصريه بالنقد والتجريح في مصداقيته، خاصة من طرف أصدقائه من العلماء.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، العلماء، الوفد الخارجي، الحكومة المؤقتة الأولى، النشاطات، المأخذ

Abstract:

The "My Struggle" memoirs of Ahmed Tawfiq Al-Madani age an important source in the history of the Algerian revolution, where its author is one of the most prominent Algerian intellectuals in the twentieth century, who experienced the revolution and was one of the actors in it. And that is what made us study these memoirs and analyze political and diplomatic activities from the outbreak of the liberation revolution to independence. It was these memoirs that revealed some aspects, such as the position of "Association of Muslim Scholars" on the revolution, and the activity of the external delegation, as well as aspects of the activities of the first interim government, and in the Arab League. These memoirs also contain important events, facts, and subtle details that were the material of many authors.

Although "Madani" tried to get away from going into conflicts and merely mentioned crises that confronted the revolution during this period, but he was unable to hide his tendencies, directions and part of his subjectivity. This prompted many of his contemporaries to confront him with criticism and to question in his credibility, especially by his colleagues.

Key words: Algerian revolution, Scientists, external delegation, first interim government, activities, intake.